ضد مقتول

ضد مقتول

محمد شكري

رواية

تصميم الغلاف : محمد عيد

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٧٠٨٤

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-٢٩١-٣

دار اكتب للنشر والتوزيع

اكتب OKTOB.NET دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١٤٤٥٥٢٥٥٧ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

E – mail :daroktob١@yahoo.com

دار اكتب للنشر والتوزيع : Facebook

الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م

ضد مقتول

محمد شكري

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء أول

إلى أجاثا كريستي

إلى إدغار ألان بو

إهداء ثان

إلى أمي وأبي صاحبا كل فضل في حياتي

إلى الكاتبة سميه غباشي التي دعمتني كثيرًا

إلى أبي الثاني الحاج كارم محمود الذي تعلمت منه الكثير

إلى حبيبتي وصديقتي وابنتي ريتال

وأخيرًا إلى رفيقة الدرب "الكاتبه الدكتورة اسماء كارم"

محمد شكري

مقدمة

السعادة ليست في ما تملك و ما تستطيع جمعه .. السعادة فيما تملك لتعطيه إلى الغير فكم من أناسٍ عاشوا حياهم في الجمع و الطمع و فارقوها بلا أحباب و لا أصحاب و لا أولاد..

السعادة ليست في المال

ليست في الجاه

ليست في السلطان

إنما السعادة ... حياةٌ و تضحية

محمد شكري

خيّم الهدوء على تلك المنطقة من مدينة السادس من أكتوبر في تلك الساعة المبكرة من صباح ذلك اليوم، و خلا الشارع من أي حركةٍ تدل على وجود أحياء، قطع ذلك السكون مرور سيارة ربع نقل محملةٍ بعمال البناء معلنةً بداية يومٍ جديدٍ من أيام شقائهم في العمل، مرت تلك السيارة فعاد مرةً أخرى ذلك الهدوء إلى أن قطعه تلك المرة صوت أبوق سيارات الشرطة الصاخبة التي أيقظت كلّ من يسكن في تلك المنطقة و على بعد خمسة كيلومترات.

عبرت تلك السيارات الباب أمام قصرٍ من قصور تلك المنطقة، بدا و كأنه أفضل قصورها أعمدته الرومانية القديمة و أرضياته الرخامية المرصّعة بسجاجيد جرانيتية وبرامق البلكونات الفرعونية وحديقة القصر، كل ذلك رسم لوحةً رائعةً تجبرك على التركيز معها فور وقوع عينيك عليها..

ترجّل من إحدى سيارات الشرطة رجلٌ في منتصف الأربعينات من عمره، عريض المنكبين، طويل القامة، أسود الشعر يتخلله بعض الشعيرات البيضاء المتناثرة بانتظامٍ كأنها مرسومةٌ لتضفي عليه وسامةً ووقاراً ربانيا.

_ صباح الفل يا حسام باشا

نطقها النقيب عبدالرحمن وهو يرسم على شفتيه ابتسامةً تُظهر لون أسنانه الصفراء رافعاً يده بتحيةٍ تبدو في شكلها مثل التحية العسكرية، و لكنها تحوّلت في الشارع إلى تحيةٍ لكل متسولٍ على لسانه جملة "كل سنه و انت طيب يا باشا".

أخرج حسام من جيبه سيجارةً و أشعلها قائلاً:

_ أهو صباح زي كل صباح

تجهّمت ملامح عبد الرحمن وقال:

_ مالك يا باشا خير؟

نفث حسام دخان سيجارته في الهواء وخرجت الكلمات مطعّمَةً ببقية الدخان المحبوس بين رئتيه:

_ مالي؟

باستغرابٍ قالها ثم استطرد:

– لا أبداً ماليش، أصلك مصحيني من النوم عشان ناخدلنا كاسين في بار، و الا مصحيني عشان نسافر الغردقة ولا شرم ناخد غطس !

كتم عبد الرحمن ضحكته بالكاد، فأدار حسام وجهه الجهة الأخرى و همهم قائلاً:

– عالم بنت ستين كلب! كل واحد قاعدلي في البيت ببوكسره بأفخاده اللي توزن طن قدام الدفاية، و قاعدة جنبه حرمه تدلعه،

وقزازة البراندي و الا الاي دي قدامه وعمال يقربع فيها ويترل يتظاهر قدام الشرطة، ويولعولنا في الأقسام ويقولك فسدة! طب ييجو يشوفوا بنصطبح بإيه كل يوم على الصبح! يالله أهو كله بيطلع عليهم لما بيقعوا في إيدينا..

صمت لبرهةٍ ثم قال:

– المهم ها يا سيدي إشجيني باللي عندك

ارتسمت ملامح الجدية على وجه عبد الرحمن فجأةً ومال على أذن حسام قائلاً:

– دي جريمة قتل يا باشا والقتيل اسمه محـــ...

–ـــ طب وانت بتوشوشني ليه يابني، هو احنا اللي قتلناه؟ يا ابني ارحم ضعف أمي، أنا راجل صاحب مرض و مش ناقص! كفاية اللي في البيت ارحمني!

تلعثم حسام في كلامه وغمغم:

– أنا آسف يا باشا بس بحُكم شغلي في السياحة قبل كدة كنت متعود على اني صوتي يبقي واطي مع الناس .

– لا يا حبيبي هنا علّي صوتك براحتك وقلتلك انسى اللي فات انت دلوقت في مكان لازم تثبت نفسك فيه، مش معنى اني أنا اللي مشيتلك في موضوع نقلك يبقي هقدر أعمل أكتر من كدة ها! إصحي كدة وفوق عشان تكمل هنا معانا، و كونك قريب المدام ده مش هيخليني أعرف ألّم وراك فاهمني و الا محتاج قرصة ودن

احمرت وجنتا عبدالرحمن وقال:

- إن شاء الله أكون عند حسن ظن سعادتك

ـــ ماشي يا فالح ، كمّل يا سيدي

عادت ملامح الجديّة على وجه عبدالرحمن بسرعةٍ ثم استطرد :

- سعادتك القصر ده بتاع محمود السويفي، رجل أعمال كبير لو حضرتك تعرفه، أخته صحيت الصبح لقيته مدبوح في مكتبه.

- فيه أي آثار اقتحام في القصر؟

- لا ياباشا مافيش لا اقتحام ولا سرقة.

تحرك حسام ليدور حول القصر يتفحصه من الخارج فتبعه عبدالرحمن ثم أكمل:

- سعادتك امبارح مكانش موجود حد من الخدامين بالليل وكان كل الموجودين محمود السويفي الله يرحمه واخواته التلاتة و أبوه و ابنه وصاحبة ابنه وشريكه في الشركة و كانوا متجمعين يحتفلوا بأيمن ابن القتيل عشان كان لسه راجع من السفر بعد غربه حوالي ١٠ سنين كان بيدرس فيهم بره.

نفث حسام آخر نفسٍ في سيجارته ثم رماها على أرضية الحديقة و قال:

-ـــ ومين اللي موجود دلوقت؟

اللي موجود دلوقت أخته هدى، والحاج عبدالله أبوه و ابنه أيمن ودول عايشين معاه في القصر، و موجود كمان معاهم أخوهم حمدي

و أخوهم الكبير سيد، بس دول مش عايشين معاهم بس كانوا بايتين هنا من امبارح.

أخرج حسام سيجارةً أخرى و وضعها في فمه بدون أن يشعلها :

– ماعرفتوش لسة مين اعدائه او مين ليه مصلحه في قتله؟

رد عبد الرحمن بحيرة:

– الغريبة ان الراجل مالوش أي أعداء، لأنه راجل خير، مش اجتماعي آه، بس مبيعرفش إن حد مزنوق أو محتاج حاجة إلا وبيقف جنبه.

وضع حسام يده على كتف عبد الرحمن وسارا سوياً تجاه مدخل القصر وقال:

– طيب تعالى ندخل لهم.

ومن إحدى شرفات القصر نظرت عينان إليهما تراقب دخولهم ولمعت وكأنها تخبئ لهما الكثير...

الكثير جداً...

***

لم يكن بهو القصر بأقل من خارجه، فكل ركنٍ فيه و كل موضع قدمٍ يدلّ على الفخامة و الرقي، و أيضاً البذخ، في وسط البهو توجد نافورة مياهٍ مغلقةٌ بالزجاج، وتضخّ مياهها بالداخل بحيث تعطي منظراً جمالياً و لا يمسُكَ شيءٌ من مياهها.

انبهر حسام بذلك المنظر ولكنه سرعان مانفض ذلك الشعور متذكراً عمله الذي أتى من أجله، فأكمل سيره في البهو إلى أن وصل إلى المكان الجالس فيه أهل القتيل، و وقعت عيناه على رجال المعمل الجنائي يعملون بجدٍ في إحدى الغرف، عرف من وجودهم فيها أنها غرفة المكتب التي وجد بها القتيل.

– أعرفكم بنفسي أنا ....

نطقها حسام أمام الأشخاص الجالسين على الكراسي فقاطعه أحدهم:

– عارفين حضرتك حسام شوكت رئيس المباحث.

نظر حسام إليه بتمعنٍ فوجده رجلاً في أواخر الستينات ذو جسمٍ رياضيٍّ متناسق، أبيض الشعر يبدو عليه الثراء.

رفع حسام يده في حركةٍ مسرحية:

– هو أنا بقيت مشهور أوي كدة ؟

ردّ عليه رجلٌ قصيرٌ أصلع الرأس بمقت :

– من يوم ماسجنت أحمد الشربتلي بتهمة قتل شاهي المطربة و انت كل الناس عارفاك.

تعجّب حسام من طريقة الرجل ولكنه أخفي تعجبه بداخله و حاول أن يكون بارد المشاعر مراعاةً للموقف ليس أكثر فقال وهو يتجه نحوه:

-أولاً أنا ماسجنتوش، أنا قدمت تحقيقاتي وتحرياتي للنيابة، وهي اللي شافت شغلها وقدمته للمحاكمة؛ عامةً ده مش موضوعنا، حضرتك مين بقى؟

وقف الرجل القصير من مكانه، فبدى شكله مضحكاً ببذلته الواسعة وجسده السمين وقصر قامته وقال بعصبية :

-ده عيبكم يا رجالة المباحث، معندكوش أي معلومات عن الناس اللي شايلة البلد دي وموقفاها على حيلها، لو بتتفرج على تليفزيون و الا بتقرا جرايد كنت عرفت أنا مين و....

-خلاص يا حمدي!

ارتفعت تلك الصيحة من الرجل ذو الشعر الأبيض و أكمل:

-إيه معندكش أي إحساس باللي احنا فيه ؟

ثم نظر إلى حسام واستطرد :

-إتفضل يا حسام بيه

اتجه حسام إلى أحد الكراسي وجلس عليه قائلاً:

-حضرتك الحاج عبدالله صح؟

أطرق الحاج عبدالله برأسه في الارض قائلاً:

-أيوه يا ابني أنا عبدالله السويفي، أبو محمود الله يرحمه.

و أشار إلى رجلٍ على يمينه يبدو عليه التأثّر بالموقف، ذو جسمٍ رياضيٍّ أيضاً يرتدي بذلةً متواضعةً لا تليق بالموجودين فبدت شاذّةً بينهم وقال:

-وده سيد ابني الكبير.

ثم أشار إلى الرجل القصير:

-و ده حمدي ابني الصغير، معلش أعذره الصدمة شديدة علينا كلنا لسه.

-و لا يهمك يا حاج.

ثم أشار إلى المرأة الوحيدة في المكان قائلاً:

-ودي بنتي هدى البنت الوحيدة على التلات ولاد.

تفحّص حسام الموجودين بعينٍ ثاقبة، حاول من خلالها أن يقرأ ما يدور في عقولهم، و لاحظ عدم وجود أيمن ابن القتيل فسأل الحاج عبدالله:

-و فين أيمن يا حاج عبدالله؟

بدت علامات التأثّر على وجه الحاج فور ذكر اسم أيمن فقل متاثراً:

-قاعد في أوضته من ساعة ما سمع الخبر وهو مش عايز يخرج منها أبداً، ربنا يكون في عونه لسه راجع من السفر وملحقش يقعد مع أبوه.

نزلت دموع الحاج واستطرد:

-مكتوب عليه يعيش يتيم الأب و الأم و احنا ماصدقنا إنه نسي موضوع موت والدته الله يرحمها.

بدا التأثّر على وجه حسام في قوله:

-هيه والدته ميتة قريب برضه؟

أجابه الحاج:

-لا من قبل من يسافر من ١٠ سنين أو أكتر بس هو تعب أوي من ساعتها و عشان كدة سفرناه يدرس برّة مصر، يدرس هناك و ينسى كمان، و أبوه الله يرحمه ماشافهوش غير مرتين مش أكتر طول العشر سنين دول، و أول ما قلنا اهم اتجمعوا الحمد لله حصل اللي حصل؛ اللهم لا اعتراضِ.

نزلت دموع الحاج، فربّت حسام على كتفه مواسياً:

-الله يرحم موتانا جميعا يا حاج، طيب هو أنا ممكن أشوف أيمن؟

أفسح له الحاج الطريق و استدار حسام براسه للموجودين وقال:

-استنوني يا حضرات بعد إذنكم.

أشاح حمدي بوجهه علامة التذمر وهمهم بكلماتٍ غير مفهومة، واطرق سيد برأسه علامة الموافقة وقالت هدى:

–احنا مستنين حضرتك.

شعر حسام بشيءٍ غريبٍ في حمدي و أسلوبه اللامبالي بالحدث الجلل الذي أصابهم، وشعر أنه يكِنّ له عداءً غير مفهوم، و لكنه أزاح تلك المشاعر من تفكيره ليستعد لمقابلة أيمن ومواساته، فاتبع الحاج عبدالله إلى غرفة أيمن و كله يقينٌ بأن هذه الجريمة سوف تخبئ ورائها الكثير والكثير من المفاجآت.

***

خيّم الصمت على جو القصر عقب صعود حسام والحاج عبدالله إلى أيمن حتى قُطِع حبل الصمت بصيحةٍ غاضبةٍ من حمدي إلى أخيه سيد و إلى هدى :

–إيه إحنا هنفضل كدة ساكتين؟ الراجل ده أنا عارفه مش هيهدى غير لما يدمرلنا حياتنا!

تململ سيد في مجلسه وقال:

–قصدك مين حسام بيه؟

استدار إليه حمدي وقال غاضباً:

–بيه عليك إنت و اللي زيك، أنا ممكن أنقله من مكانه لو حبيت! إنت مش شايف بيبصلنا إزاي وبيعاملنا زي ما نكون متهمين!

نظر إليه سيد بشذر وقال:

-يا أخي حرام عليك! هو مش أخوك ده اللي مات برضه؟ معندكش دم للدرجادي! يا أخي إعمل حساب أبوك ولا إعمل حساب ابنه اللي اتدمر ومالوش حد من بعده، ولا إعمل حتى حساب إنه صاحب الفضل عليك!

نظر إليه حمدي بغضب و قال ثائراً:

- ماشي يا صاحب الفضيلة والشرف، يللي بتحب أخوك، و لما انت بتحبه أوي كدة جبتله غيبوبة السكر ليه بسبب خناقتكو امبارح قبل الحفلة؟

هبّ سيد من مكانه واتجه ناحية حمدي وعلى وجهه علامات الغضب، فتدخلت هدى و أمسكته وقالت لحمدي بعصبية:

-بس بقى يا حمدي كفاية! إحنا في مصيبة و انت بتتخانق؟ احترم أخوك الكبير! ده دم أخوكو لسه مبردش.

أشاح حمدي بوجهه و اتجه إلى أحد رجال المعمل الجنائي وسأله:

-إنتو قدامكو قد إيه وتخلصوا؟

- ساعة بالكتير يا فندم.

أومأ حمدي برأسه و اتجه إلى شرفةٍ من الشرفات و أخرج سيجاراً كوبياً و أشعله وجلس على كرسيٍّ بقرب النافذة يتأمل حديقة القصر و في عقله تدور بعض الأفكار التي جعلت الابتسامة تعلو وجهه و جعلتها تتسع أكثر و أكثر.

استمر حسام والحاج عبدالله في السير، مارّين على غرفٍ كثيرة، لم يركز حسام في عدها إلا أنه شعر أنها تعدّت العشر غرفٍ إلى الآن، إلى أن وصلوا إلى غرفة أيمن فطرق الحاج الباب وقال مستأذناً:

–أيمن أنا جدو يا حبيبي، حسام بيه عايز يتكلم معاك شوية ممكن؟

رد أيمن بصوتٍ متشنج يبدو عليه الحزن الشديد:

–اتفضل يا جدو.

فتح الحاج الباب ودخل هو وحسام الذي أدار عينيه في المكان فوجدها غرفةً لاتقل عن باقي القصر في الفخامة باستثناء أنها لاتناسب شاباً في الثالثة و العشرين من عمره، فكل ركنٍ فيها يدل على أنها لم تتغير منذ أن كان أيمن في سن الثانية عشرة، فعلى إحدى الحوائط تنتشر صور فناني هذا الجيل منذ اثني عشر عاماً أو أكثر، كما يوجد على المكتب كشاكيل و كراريس وأقلام كالتي توجد مع طلبة الابتدائية و الإعدادية، و على المكتب نفسه يوضع كمبيوتر يبدو على شكله القدم، و على حائطٍ منفرد توضع صورةٌ بالحجم الطبيعي لسيدةٍ في منتصف الثلاثينيات وهي تحتضن طفلاً في العاشرة من عمره يبدو أنه أيمن من الشبه الواضح بينهما، و على السرير توضع كمنجةٌ واضحٌ من موضعها ومن ما عليها من غبار أنها لم تُستخدم منذ زمنٍ ليس بالقريب..

انتزعه من شروده قول الحاج عبدالله وهو يشير إلى الشاب الواقف أمامه:

ـ ده أيمن ابن محمود الله يرحمه.

اتجه حسام إلى أيمن ذو الجسم الرفيع الهزيل ومدّ يده إليه ليصافحة قائلاً:

ـ البقاء لله ياأيمن .. شد حيلك .. أنا حسام شوكت رئــ.......

قاطعة أيمن قائلاً بجفاء:

ـ أهلاً وسهلاً بحضرتك، كنت عايزني في حاجة و الا إيه .

تعجّب حسام من أسلوبه ولكنه التمس له العذر نتيجةً للصدمة، و ربّت على كتفه قائلاً:

ـ لا يا أيمن أنا كنت جاي بس أقولك البقاء لله، ولما تهدى نبقى نتكلم إن شاء الله.

أشاح أيمن بوجهه للجهة الأخرى وأخذ يذرف الدموع...

ربّت حسام مرةً أخرى على كتفه في تعاطف وأدار وجهه إلى الحاج عبدالله الذي اغرورقت عينيه بالدموع وحاول أن يخرج من الموقف بقوله:

ـ يالله بينا ياحاج أنا عايزك في كلمتين.

وخرجا سوياً من الغرفة تاركين أيمن يبكي بحرقةٍ على فراق والده الذي لم يهنأ بابنه المغترب عنه منذ عشر سنوات؛ و من يدري ماذا يخبئ له القدر مرةً أخرى...

فور خروج الحاج عبدالله من غرفة أيمن انطلقت عيناه في ذرف الدموع هو الآخر و كأنهما صنبورٌ تالف، فتأثر حسام بالموقف ولم يعرف ماذا يقدمه لهذا الرجل ولكنه حاول التخفيف عنه والخروج من الموقف قائلاً:

– ياحاج هو مفيش ستات في عيلتكم غير بنتك هدى؟

– بتسأل ليه يا ابني؟

– عشان يقفوا مع مدام هدى ومتبقاش لوحدها ويبقوا جنبها.

جفف الحاج دموعه بمنديله وقال:

ـ بص يا ابنى سيد ابنى الكبير وهو اللي شقي معايا ومكملش تعليمه علشان نصرف على بقية اخواته.

حسام باستغراب:

– شقي؟! إزاي يا حاج أنا شايف بسم الله ماشاء الله إنكم مستريحين جداً مادياً.

تململ الحاج عبدالله من مكانه وشخص بصره وكأنه يتذكر شيئاً منذ زمنٍ بعيد :

ـ يااااه انت كدة هترجعنا تانى لأيام زمان.

انتبه له حسام ونظر له بتمعن وقال:

ـ إحكيلي ياحاج.

استطرد الحاج:

ـ زمان أنا كنت موظف على قد حالي في السكة الحديد، وكنا قاعدين في قرية في الصعيد أنا ومراتي وسيد ابني الكبير وفضلنا نناطح في الدنيا والدنيا تناطح فينا لحد ماعدى ١٠سنين وبعدين جبنا حمدي وبعدها بسنتين هدى وآخر حاجة بعدها بسنتين جبنا محمود، و من يومه سيد وهو شايل الهم معايا وبيتعامل مع أخواته كأنه أبوهم مش أخوهم الوحيد، اللي كان بيقف قصاده وبيعمل راسه براس سيد هو حمدي طول عمره مش راضي بعيشتنا و مش عاجبه حالنا، أما هدى فكانت بتحب واحد اسمه مدحت وهو بيحبها أوي و محصلش نصيب و من ساعتها رافضة الجواز، ومحمود الله يرحمه من وهو صغير وهو متدلع مني ومن أمه الله، يرحمها وبما إن الحال كان على القد ساعتها فسيد مكملش تعليمه علشان يساعدني على مصاريف البيت، وحمدي كان فاشل في الدراسة استنيته و استحملته لحد ما أخد دبلوم تجاره وقلتله كفاية كدة علشان العين بصيرة والإيد قصيرة، و هدى خدت دبلوم برضه وده كان أعلى مؤهل للبنات في الوقت ده، أما محمود فبما إنه الصغير فنال أكبر قسط من التعليم ده زائد إنه كان ذكي الله يرحمة وبيطلع من الأوائل على طول و دخل كلية الهندسة و اتخرج منها بامتياز وفي الكلية اتعرف على واحدة واتفقوا انهم يتجوزوا بعد الكلية، لكن لما جه يفاتحني كانت المشكلة إن أهل البنت – اللى هي مراته بعد كدة الله يرحمها– كانوا ناس أغنيا أوي وأنا كنت خايف إن أهلها يرفضونا وبالذات لأن البنت وحيدة والدها ووالدتها، فرفضت أروح معاه لأهلها و قلتله يا ابني أحنا فين وهما فين، قالي تعالى بس

معايا و مالكش دعوة ويبقى أخدنا بالأسباب وعملنا اللي علينا وربنا هو اللي يقدم اللي فيه الخير..

سمعت كلامه و روحت معاه وكان أهلها عايشين في القصر ده، و جينا و طلبتها لابنى وفوجئت باستقبال الناس لينا وحسن معاملتنا كانو ناس طيبين أوى الله يرحمهم جميعاً، وبعد ما اتجوزوا عاشوا هنا لحد مامات والدها ووالدها و هي خلفت أيمن وماتت في حادثة عربية من ١١ سنة الله يرحمها ويحسن إليها.

شرد حسام للحظة ثم سأل الحاج:

ـ و بعدين ياحاج.

ـ مفيش بعدين يا ابني مفيش أحداث تستاهل إني أذكرهالك.

مال عليه حسام قائلاً:

ـ طيب ده محمود وعرفنا فلوسه جابها منين، ورث من مراته و هو كبره عادي، لكن حمدي جاب فلوسه دى كلها منين؟

ارتبك الحاج عبدالله وانتفض من مجلسه وقال بصوتٍ متوتر:

– أخوه طبعاً ساعده و إداله فلوس.

– طيب ليه مساعدش سيد؟ وليه جابك انت ومدام.... قصدي آنسة هدى تقعدوا معاه ومجابش سيد بالرغم إن من الواضع إن سيد هو أكثر واحد فيكو كلكم ظروفة صعبة؟

ازداد ارتباك الحاج وقال بعصبية :

ـ وده هيفيدك بإيه ياحسام باشا؟ دي حاجات شخصية.

أيقن حسام من ارتباك الحاج وعصبيته أن هناك أمراً خفياً يحاول الجميع إخفاءه عنه، و لكنه أصر أن يعرف هذا الأمر وبداخله نمى شعورٌ قويٌّ بأن هذه القضية سوف تحمل له الكثير بين طياها.

انتهى رجال المعمل الجنائي من عملهم الذي استغرق الكثير من الوقت فتوجه كبيرهم إلى حسام وهمهم في أذنه ببعض الكلمات وفور انتهائه من حديثه شكره حسام وتركه يكمل انهاء عمله، وتوجه إلى بهو القصر الذي يجتمع فيه جميع الموجودين فوجدهم كلهم ينظرون إليه بشغفٍ منتظرين ماسيقوله، ولكنه آثر الصمت وأدار بصره فيهم جميعا وبدأ ينظر إليهم نظرات شكٍّ وريبة وتوقف بصره فجأةً عند هدى وقال لها:

آنسة هدى هما الشغالين كانوا موجودين امبارح ولا زي ماسمعت كانوا أجازة؟

أجابت هدى وكل خلجة من خلجاها تضطرب من التوتر:

ـ لا كانوا أجازة.

أدار حسام وجهه جهة الحاج عبدالله وقال:

– ومش غريبة تبقوا عاملين عزومة ومتجمعين كلكم والشغالين ياخدوا أجازة بالرغم من إنهم مش بياخدوا أجازة في الأيام العادية؟

أجابه الحاج عبدالله هذه المرة قائلاً:

_ محمود الله يرحمه هو اللي طلب كدة وطلب من هدى ترجعلنا يوم من أيام زمان وتطبخ لنا هي المرة دي.

وجّه حسام نظره إلى هدى وقال:

– يعني مفيش حد دخل المطبخ غيرك امبارح صح؟!

ردت هدى بتوتر:

_ آه أنا اللى عملت الأكل ومحدش دخل غـــ .... لا فيه الدكتورة إيمان صديقة أيمن .

شرد حسام بنظره وقال مفكراً:

_ أيمن!!

ثم توجه بحديثه إلى الحاج قائلاً:

_ ماتندهلنا أيمن ياحاج معلش استحملوني شوية وهمشي على طول بالكثير نص ساعة وخلاص، ومتخافوش...

_ أنا هنا ياحسام باشا.

قالها أيمن مقاطعاً حديث حسام ثم استطرد:

_ أنا نزلت علشان اسمع حضرتك وآسف على المقابلة الوحشة اللي قابلتها لك من شوية بس أكيد انت مقدر.

أشعل حسام سيجارةً ثم قال لأيمن:

_ طيب يا أيمن بما إنك معايا فأنا فيه سؤال تقليدي لازم بسأله في كل قضية زي دي.

قال أيمن في هدوء:

_ اتفضل حضرتك اسأل .

نظر إليه حسام بعينٍ ثاقبةٍ لمراقبة انفعالاته وقال له:

_ تتهم حد بقتل والدك؟!

صمت أيمن لبضع لحظات ثم أشار إلى أحد الحاضرين وقال بهدوء:

_ أيوة ياحسام باشا ده اللى قتله.

واتسعت أعين كل الحاضرين...

***

استكمل النقيب عبدالرحمن استجواب جميع العاملين بالفيلا وأصابه الملل من تشابة أقوالهم، وفكر للحظةٍ أن يكتفي بمن استجوبهم طالما أن جميع أقوالهم واحدة، ولكنه تخوّف من أن يعلم المقدم حسام ويسبب ذلك توتراً في العلاقه بينهما فحاول السيطرة على مشاعره واستدعى "السواق"؛ وبعد لحظاتٍ دخل عليه رجلٌ في أوائل الخمسينات من عمره، أسود الوجه أبيض الشعر، نظر عبدالرحمن إلى الورق الذي أمامه بنفاذ صبرٍ وقال في روتينة:

_ قولي ياعم مصطفى إيه اللي تعرفه عن الحادثة ؟

تلفت عم مصطفى حوله في خوف وتأخر في الرد، فرفع عبدالرحمن عينيه ونظر إليه قائلاً بعصبية :

_ هو أنا مش بسألك ياعم مصـــ.......

احتبست باقي جملته في حلقه عندما رأى وجه الرجل وتعبيراته والخوف الذي ارتسم على ملامحه. فقام من مجلسه وربّت على كتف عم مصطفى وقال له:

_ إهدى ياعم مصطفى.. إهدى اقعد كدة و أنا هجبلك كوباية مية.

وقام باستدعاء أحد العساكر وقال له:

_ كوباية مية بسرعة .

ثم توجه إلى الكرسي المقابل لكرسي عم مصطفى وقال له:

_ إيه ياعم مصطفى خايف من إيه؟ وإيه اللي تعرفه عن الجريمة؟ قول متخافش من أي حاجة أو من أي حد!

تمالك عم مصطفى أعصابه وحاول جاهداً أن يخرج صوته غير مبحوحاً وقال:

- أنا عارف مين اللي قتل محمود بيه الله يرحمة ويحسن إليه.

ظهرت علامات الفرح والبهجة على وجهه عبدالرحمن أنه وصل إلى حل القضية قبل رئيسه حسام، ولكنه حاول إخفاء علامات السرور هذه حتى يسمع عم مصطفى السواق فقال له مطمئناً وهو يعطي له كوب الماء:

_ إشرب ياعم مصطفى كدة و اهدى وقلي مين اللي قتله وعرفت ازاي؟!

تناول عم مصطفى الماء على جرعةٍ واحدة، وهدأ بعض الشيء وبدأ في الكلام:

ــ بص ياباشا أنا بخدم محمود بيه الله يرحمه والحاج عبدالله والست هدى من عمر أيمن، يعني من ٢٤ سنة تقريباً والعلاقة اللي بينا مش مجرد واحد شغال عندهم وخلاص لأ لأني أنا كنت جارهم قبل ما ربنا يفتح عليهم ويتنقلوا النقله دي فهما بيعاملوني على إني واحد منهم ما عدا حمدي بيه الله يسامحه بقى، كل شوية يحاول يحسسني إني أقل منهم و بيعاملني وحش و أول ما بيشوفني بيتعفرت عشان بفكره بأيام زمان، أيام الفقر زي ما بيقول؛ و امبارح الصبح بدري كنت بطلّع العربية من الجراج و بغيّر عجلة العربية وساند على حيطة القصر، والحيطة دي فوقها أوضة الست هدى وسمعتها بتتكلم هي وحمدي بيه بصوت عالي شوية، أنا مش متعود إني اتصنت على حد والله بس الكلام هو اللي خلاني أركز في اللي بيقولوه..

ربّت عبدالرحمن على كتفه مشجعاً وقال:

ــ كويس ياعم مصطفى، كمّل كانوا بيتكلموا في إيه بقى؟

شرد عم مصطفى للحظات وكأنه يتذكر نَصّ الحوار بالضبط وقال:

ــ أنا أول حاجة سمعتها هو صوت حمدي بيه بيقول للست هدى بصوت عالي وهو متعصب:

– يعني إيه هو حر؟ لأ طبعاً مش حر و الفلوس دى مش بتاعته لوحده عشان يتصرف فيها بمزاجه.

فردت عليه الست هدى وقالت له:

_ يعني إيه مش فلوسه لوحده؟ هي مش فلوس مراته وهو حر فيها؟ يديها نلي عايزه وبعدين هو مش هيكتبها لحد غريب ده هيديها لإبنه، فاهم يعنى إيه إبنه و الا لأ؟!

– و احنا إيه مش اخواته ولينا نصيب في الفلوس دي.

– إنت مش مكفيك اللي أخدته منه عايز إيه تاني؟

–عايز حقي.

–حقك إيه ياحمدي! إنت هتكدب الكدبة وهتصدقها؟ أخوك هو اللي عاملك مش إنت اللى عملته، وهو السبب في اللي انت فيه دلوقت بلاش طمع بقى وسيب أخوك وابنه يتهنوا بفلوسهم سيبهم يعيشوا حياهم كفاية اللي شافوه.

– انتي اللي بتقولي كدة ياهدى! ليه ونسيتي اللى عمله فيكي خلاص سامحتيه؟!

–بلاش نتكلم في القديم يا حمدي، وبعدين أنا سامحته زي ما سامحتك بالضبط و الا انت نسيت.

–طيب إيه رأيك أنا هقتله قبل مايعمل عملته دى مدام مفيش حد فيكم واقف معايا خالص علشان نرجعه عن اللي هيعمله! مينفعش يدى للواد ده فلوسه كلها، أنا هقتله .. هقتله..!

يكمل عم مصطفى كلامة قائلاً:

ـ وخرج حمدي بيه وهو متعصب جداً ووقفت الست هدى في الشباك فشافتني واقف تحت الشباك بالضبط، فزعقتلي وقالتلي انت بتعمل إيه هنا، فرديت وقلتلها بغيّر العجلة علشان نروح أنا والحاج عبدالله نجيب أيمن بيه، قالتلي طب اطلعلي بعد ما تغير العجلة..

أنا خلصت تركيب العجلة وطلعتلها الأوضة لقيت معاها حمدي بيه وبيبصلي بصة أنا كنت هعملها على روحى زي العيال الصغيرة، وحط إيده في جيبه طلع رزمه فلوس وقاللي :

ـ اللي انت سمعته متنطقش بيه لمخلوق وبالذات الحاج و محمود بيه ..

أنا خفت وقلتلهم :

ـ أنا مسمعتش حاجة أصلاً انتو بتتكلموا عن إيه..

حسيت إن حمدي بيه هيجي يقطعني حتت من نظرته ليا، لكن لقيت الست هدى جت مسكتني من إيدي وخدتني على جنب وقالتلي :

ـ ياعم مصطفى دي شوية مشاكل عائلية ومش عايزنها تكبر، وكل واحد وهو متعصب بيقول أي كلام، فمتخدش في بالك ومتقلش لحد اللي انت سمعته عشان مشاكلهم متزيدش مع بعض ونعرف نحلها.

لقيت نفسي باخد منها الفلوس اتقاءً لشرهم وخوفاً من حمدي بيه ولقيت نفسي بقولهم حاضر؛ بس وبعدين روحت أنا والحاج جبنا أيمن بيه وصاحبته وحصل اللي حصل.

علَت الابتسامة على وجه عبدالرحمن و أمسك بكتف عم مصطفى قائلاً :

-متخافش ياعم مصطفى محدش هيقربلك وصدقني ده فعلاً المنتظر من الناس الأصيلة اللى بتصون العيش والملح، وتأكد أن محمود السويفي دلوقت هينام مستريح في ترتبه.

رد عليه عم مصطفى قائلاً:

_ و أنا كدة استريحت وريحت ضميري، واللي يحصل يحصل بقى..

- طيب استناني هنا شوية ياعم مصطفى وراجعلك.

أوقفه عم مصطفى وامسكه من كتفه وقال له وفيه حاجه كمان عايز أقولهالك ياباشا...

قاطعة عبدالرحمن قائلاً :

_ طيب استناني هندهلك حسام باشا عشان يسمع معانا وهجيلك فوراً

وتوجه مسرعاً إلى القصر وهو يظن أنه حل لغز القضية ولكنه لم يكن يعلم أنه سوف يكون السبب في التعقيد أكثر.

***

ساد الصمت على بهو القصر بعد أن القى أيمن كلمته و أعلن عن شكه في من قتل والده، و ارتسم الذهول بكل ملامحه على وجوه

جميع الحاضرين، حتى قطع ذلك الصمت صوت سيد "الأخ الأكبر للقتيل" وقال بصوتٍ جهوريٍّ قوي:

ـ إيه اللي انت بتقوله ده! أنا اللي قتلته؟ أنا أقتل أخويا! إنت مجنون! أكيد مجنون!..

صيحته تلك انتزعت الجميع من ذهولهم فقال الحاج عبدالله:

– إيه الكلام الفارغ ده يا أيمن ؟

قال أيمن بثورة:

ـ هو ده الكلام الصح ياجدو، أنا سامعهم وهما بيتخانقوا امبارح وصوقم علي و أكيد الموضوع اتطور بينهم، و حتى بعد ما عمي سيد خرج و قلتله إنتو بتتخانقوا ليه مرضيش يقوللي أبداً.

نظر المقدم حسام إلى سيد فوجده مطرقاً رأسه أرضاً، فسأله قائلاً:

ـ طيب ممكن بقى يا أستاذ سيد بدل ما إنت ساكت كدة تدافع عن نفسك و تقللي رأيك في الكلام اللي بيقولوه ابن أخوك ده؟

بدا التوتر على وجهه وقال بصوت متلعثم:

ـ ياحسام باشا أنا مقتلتش أخويا، و مش هقدر أقول غير كده، ومعنديش دليل غير كلامي ده، لو حضرتك عايز توجهلي اقام رسمي اتفضل، و أيمن الله يسامحه ويهديه.

نظر إليه حسام يتفحص ملامحه وقال:

_ طيب أمال كنتوا بتتكلموا في إيه امبارح؟ وليه مش عايز تقول لحد على الموضوع اللي كنتوا بتتكلموا فيه، وليه الموضوع اتطور واتخانقتوا؟

أدار سيد عينه في وجوههم كثيراً وثبّت عينيه بعض الشيء على حمدي، فأشاح الأخير بوجهه للجهة الأخرى ثم قال سيد:

_قلت لسيادتك مقدرش أقول...

-طيب أنا بوجهه لحضرتك اهام رسمي بقتل المجني عليه محمود السويفى هتقول إيه في ....

"باشا ممكن ثواني"

قالها عبدالرحمن لاهثاً ليقطع عليه حديثه، فنظر إليه حسام بقلق وقال:

_ مالك يا عبدالرحمن فيه إيه؟

رد عليه عبدالرحمن وقال :

_ مفيش ياباشا بس ممكن ثواني.

أمسكه حسام من كتفه ومشيا ليخرجا خارج القصر وقال للحاضرين:

_ ثواني يا جماعة و جاي

وتركهم ليستمع إلى عبد الرحمن وهو لا يعلم أن كلام عبدالرحمن سيقلب كل توقعاته واستنباطاته التي بناها من قبل..

بدا الحاج عبدالله شارداً فور خروج المقدم حسام والنقيب عبدالرحمن ومن داخله شعر أن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، ونظر بحبٍّ إلى أيمن الذي ظهرت عليه علامات الإعياء فور رجوعه من سفره، و فكر في وصية ابنه محمود وهو يقول له قبل موته:

_ بابا .. أنا بأمنك أمانة .. أيمن في رقبتك انت عارف ظروفه وعارف أنا ظلمته قد إيه، أنا حاسس إني مش هدومله ومش هلحق أعوضه على اللي عملته فيه .

وحينها قال له الحاج عبدالله :

_ إنت هتوصيني على حتة مني يامحمود؟ ده أيمن ده حته من قلبي ده أنا أفديه بروحي، ده أعز عندي منكم كلكم، ربنا يديك إنت الصحة ويخليك جنبه وتعوضه بنفسك..

قطع عليه حبل أفكاره دخول عزّت البواب إلى بهو القصر وقال مخاطباً حمدي:

_ حمدي بيه كنت عايز حضرتك في كلمتين ممكن؟

أجابه حمدي بضيق:

_ مش وقته ياعزت، ابقى فوت عليا في الشركة

بدا الإصرار في كلمات عزّت وقال مصراً:

_ لا أنا مش عايز حاجة لنفسي، أنا عايز حضرتك في حاجة تخصك.

انتبه حمدي عندما وجده شيئاً يخصّه، وأخد عزت في إحدى الحجرات وقال له بعد أن تأكد من إغلاق باب الغرفة:

_ قول، ياعزت فيه إيه؟

مال عزت على أذنه و انخفض صوته وكأنه يلقى سراً من أسرار الدولة وقال :

_ أنا سمعت الضابط اللي اسمه عبدالرحمن كان بيتكلم مع عم مصطفى السواق وجت سيرة جنابك في الموضوع فقلت أقولك
انتفض جسد حمدي انتفاضةً خفيفةً وقال بخوف:

_ وقاله إيه متعرفش؟

-لا أعرف طبعاً، أنا سمعت كلامهم من الأول لحد ما جري الضابط على هنا علشان يبلغ ريسه.

-طيب قول قال إيه؟

بدا الجشع على وجه عزت وقال:

_ طب وحلاوتي؟.

رد عليه حمدي مسرعاً :

_هديك اللي تطلبه بس قول بسرعة.

انطلق عزت في سرد كل ماحدث وما قيل بين عبدالرحمن وعم مصطفى، و بعد أن انتهى من حديثه بدت علامات التفكير على وجه حمدي وقال لعزت :

ـ بص ياعزت، الكلام ده ميطلعش لحد خالص أما مصطفى ده بقى أنا هعرف شغلي معاه.

وانصرف عزت وترك حمدي يفكر ويدبر و بداخله بركانٌ يغلي..

خرج حمدي ثائراً من الحجرة، توجه إلى بهو القصر فوجد الجميع جالسين على مقاعدهم مطرقي الرأس، فأمسك هدى من يدها وتوجها سوياً إلى نفس الغرفة التي أتى منها وسط نظرات الجالسين، وعندما أغلق عليهما باب الغرفة قصّ عليها ما قاله عزت البواب، فانتفضت هدى انتفاضةً قويةً هي الأخرى و ارتسم الرعب على ملامحها وقالت في فزع:

ـ ياخبر اسود! طب وبعدين؟ وتلاقي دلوقت الظابط ده بيحكي للمقدم حسام اللي هيستغلها فرصة ويثبتها علينا تهمة.

– وهو احنا عملنا حاجة؟ ده كان مجرد كلام!

– ساعتها مش هتعرف تثبت إنه مجرد كلام! ربنا يستر ويعديها على خير.

وانخرطت في البكاء...

***

استمع المقدم حسام إلى عبدالرحمن بإنصاتٍ إلى أن انتهى من حديثه، فأخذ يفكذر في بعض تطور الأمور ويرتب الأحداث فوجدها مختلفة، فمن كلام عبدالرحمن فالقاتل هو حمدي أو هدى أو الاثنين معاً، ومن ما حدث من أيمن فالقاتل او على الأقل الذي يعرف من

القاتل هو سيد، ولكنه من داخله يرجّح كون حمدي هو القاتل، ربما لأن الدليل أقوى من الدليل الخاص بسيد، كونه مجرد شجارٍ محتمل أن يكون شجاراً عائلياً عادياً ولكن الدليل الذي على حمدي قوي، فهو خلافٌ على نقود، وكم من جرائم ارتكبت من أجل المال، ارتاح من داخله لهذا الاحتمال.

احترم عبدالرحمن صمت رئيسه وعرف أنه يفكر، إلى أن حدّثه حسام وقال له:

_ كدة يبقى الموضوع اتقعد أكثر

-ليه ياريس ؟!

قصّ عليه حسام ماحدث من أيمن بالداخل وردّ فعل سيد وأبلغه باحتمالاته واستنتاجاته ورجّح كون حمدي هو القاتل.

استمع إليه عبدالرحمن إلى أن صمت فقال بأدب:

_بص سعادتك أنا برضه برجح أنه يكون حمدي لأن الراجل ده مش مريح وشكله كدة إجرام فعلاً وبعدين سُمعته في السوق مضروبة.

اندهش حسام من الجملة الأخيرة فقال:

_ هو انت تعرفه ياعبدالرحمن؟

-آه طبعاً يافندم ومين ميعرفش حمدي السويفي..

- أنا ياسيدي معرفوش قولّي بقى مين هو؟

– ده صاحب أكبر شركة مقاولات في مصر دلوقت بس الناس بتقول عليه إنه بيغسل أموال، ناس ثانية بتقول إنه بيتاجر في المخدرات، وناس بتقول إنه صاحب كذا نادي قمار، وكله كلام ومفيش حاجة مثبوتة عليه..

–طرقع حسام سبابته وإبهامه وقال مبتسماً:

_ وده يدل على إننا في الطريق الصح واحد بالأخلاق دي ممكن يقتل أخوه لما يعرف إنه هيكتب ثروته باسم ابنه..

جذب عبدالرحمن من يده وتوجها إلى القصر مرةً أخرى.

***

أطلق كلٌّ من الجالسين في بهو القصر لعقله العنان في التفكير، وظلّ كل واحدٍ منهم يسترجع ماحدث و يضع احتمالاتٍ لنهاية هذه القصة التي من الواضح أنها سوف تنتهي نهايةً غير سعيدة، وبعد لحظاتٍ من تفكيرهم اندفع حمدي قائلاً:

_ إيه ياجماعة مفيش حد منكم وراه شغل والا إيه؟ عايزين نخلص بقى!

دخل عليهم المقدم حسام وبصحبته عبدالرحمن وردّ عليه قائلاً: خلاص يا حمدي باشا الموضوع قريب يخلص بس للأسف حضرتك لازم تيجي معايا عشان نكمّل التحقيق في محضر رسمي.

قال حمدي بغضب:

_ وليه أنا بالذات؟! إنت بتوجهلى تهمة معينةه والا حاجة؟

ارتسمت ابتسامة سخريةٍ على شفتي حسام وقال بتشفي:

_ طبعاً بوجهلك تهمة ياحمدي بيه، بوجهلك تهمة قتل محمود السويفي أخوك، بعدما اتفقت انت واختك هدى على كده..

نظر الحاج وأيمن وسيد إلى حمدي وهدى بذهول.

وقال الحاج بغضبٍ مشوبٍ باندهاش :

_ حسام باشا حضرتك إزاى تتهم ابني تهمه زي دي؟ عندك دليل..

رد بتهكم:

_ أكيد عندي دليل ياحاج، عندي شاهد على كلامهم سمعهم و حاولوا يرشوه لكن هو طلع شريف عكس تصورهم، وحكالنا على كل حاجة .

ثم نظر إلى عبدالرحمن وقال:

_ هاتلي عم مصطفى.

وبعد لحظاتٍ دخل عبدالرحمن وبصحبته عم مصطفى مرتجف الأوصال ومطرقاً رأسه أرضاً

ربّت حسام على كتفه وقال له:

_ عم مصطفى قول اللي انت قولتهولى ومتخافش وافتكر إن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

دبّت الشجاعة في نفس عم مصطفى وانطلق يقص ما قصه على عبدالرحمن وحسام قبل ذلك وسط ذهول الحاضرين من القصة التي صدمتهم، فكيف لأخٍ وأخته ان يقتلا أخيهم الثالث بسبب ورثٍ أو عداءاتٍ شخصيةٍ أو عائليةٍ قديمة؟

انتهى عم مصطفى من سرد حديثه ثم نظر الى الحاج نظرةً بها الكثير من الأسف الذي قابله بنظرةٍ بها غضب، وانصرف عم مصطفى تاركاً كل من في القاعة مذهولاً، وانهار الحاج عبدالله ورمى جسده على الأريكة وقال:

رحماك يا رب! رحماك يا رب! ثم انهار في البكاء.

نظر حسام إليه في إشفاقٍ ثم خاطب عبدالرحمن قائلاً:

_ المعمل الجنائي خلص شغله؟

- أيوة يافندم ومستنين أوامر سعادتك.

-طيب خليهم يجهزوا تقريرهم ويبعتوه على عندي في المكتب.

ثم أدار وجهه جهة حمدي وهدى وقال :

_ اتفضلوا معايا نكمل التحقيق في مكتبي.

انصاع حمدي وهدى للأمر بهدوءٍ وهما مذهولين مما يحدث، وانكسر كبرياء حمدي وهو مطأطئ الراس، أما حسام فقد ارتاح ضميره وشعر أنه قارب على حل هذه القضية التي توقّع انها لن تحل بسهولة.

فتح سكرتير مروان الدويك المكتب عليه بخشونةٍ وهو يقول :

ـ إلحق ياباشا مصيبة! مصيبة!

ردّ عليه مروان بقلق :

ـ فيه إيه ياحاتم مصيبة إيه دي؟

قال حاتم وأنفاسه تتسارع:

ـ محمود بيه، محمود بيه السويفي...

نهض مروان من مجلسه وقال بقلق:

ـ ماله محمود ؟ إنطق!

صمت حاتم بضع لحظاتٍ ليلتقط أنفاسه وقال:

ـ إتقتل ياباشا! لقوه مدبوح في مكتبه النهاردة الصبح!

كانت كلمته كمن رمى قنبلةً في المكتب، فلقد انتفض مروان انتفاضةً قويةً كمن لدغه عقرب وقال بدون تفكير:

ـ عملها ابن الحرام!

همس حاتم في أذنه بتساؤل:

ـ هو مين اللي عملها ياباشا؟

انتبه مروان إلى الكلام الذي بدأ يخرج منه بلا حساب فسكت وقال لحاتم:

ـ أخرج إنت وسيبني شوية ياحاتم.

خرج حاتم من المكتب وترك مروان الذي بدأ يتذكر أشياء حدثت بالأمس فتذكر حينما دعاه محمود السويفي للاحتفال بابنه، تذكر ايضاً ما قاله له محمود في مكتبه بالقصر حينما فاتحه في تصفية الشركة بينهم لأنه يريد ان يكتب لابنه كل أمواله، ويريد تحويل كل أصوله إلى أموال سائلة عدا القصر لأن أيمن غير قادرٍ على تحمل مسؤولية إدارة أعمال شركاتٍ ومشاريع وماشابه، حينها حاول إقناعه بشتى الطرق أن يجعله يرجع عن قراره ويكتب حصته في الشركة لأيمن كما يشاء بدون فض الشركة بينهما، تذكر حينما خرج من مكتبه غاضباً بعد أن فشلت كل محاولات إثناءه عن قراره، وكيف قابل حمدي في وجهه فحاول تهدئته وسؤاله عن ثورته فروى له ماحدث، عندها أخذه في غرفةٍ حتى لا يسمعهما أحد وقال له أنه سوف يرجعه عن قراره بالقوة لو لزم الأمر لأن نقوده ليست ملكاً له وحده وإنما هو شريكٌ فيها؛ حينها لم يفهم، ومن غضبه وثورته لم يسأل مامعنى كلامه، ولكنه قال له ان محمود يصرّ على موقفه فقال له حمدي:

_ لو اضطريت لقتله هقتله، لكن ميكتبش ثروته باسم ابنه ابداً متخافش! وبعدها انصرف هو وانتظر حتى يأتيه حمدي بالخبر اليقين و أن يثني محمود عن قراره و......

قطع تفكيره دخول حاتم عليه وقال له بقلق :

_مروان باشا فيه ظابط برّة عايز حضرتك.

– أنا ؟! عايزني أنا ؟خير؟

دخل النقيب عبدالرحمن هو ومجموعةٌ من الرجال، وأخرج هويته لـــ "مروان" قائلاً:

_ النقيب، عبدالرحمن مرتضى مباحث، حسام باشا عايز حضرتك في مكتبة حالاً..

– وده معناه إنه مقبوض عليا والا إيه؟

–لا ياباشا مش مقبوض ولا حاجة، بس هو هيسأل حضرتك سؤالين وبعدين هتخرج على طول.

– أوك أنا جاي معاكو.

ثم نظر لحاتم وقال له:

_ إلغي كل المواعيد النهارده ياحاتم..

ثم ذهب معهم إلى مكتب المقدم حسام وعقله يفكر فيما سيقوله، هل عندما يروي ما حدث مع حمدي لن يفيده شيئاً ؟ أم يقول ويتبرأ هو من القضية ويدع حمدي "يلبسها"؟

***

دبّ النشاط فجأةً في مبنى المباحث فور وصول المقدم حسام، فانتبه كل العساكر وهم يُطلقون التحية العسكرية له، وامتلأت الطرقات بالضباط إلى أن دلف المقدم حسام إلى مكتبه وطلب استدعاء النقيب عبدالرحمن، وقبل أن يكمل استدعائه دخل عليه النقيب عبدالرحمن وقال :

_ تحت امرك ياباشا، حمدالله على السلامة.

-الله يسلمك، جبت الناس و الا لسه ياعبدالرحمن.

– أكيد جبتهم ياباشا، الدكتورة إيمان ومروان الدويك "شريك محمود السويفي."

– تمام، وحمدي وهدى فين؟

– موجودين في أوضتي من ساعتها سعادتك.

_ طيب دخلّي مروان الأول

مضت ثواني إلى أن دخل عليه مروان يبدو عليه التوتر وعدم الثقة بالنفس فقال له حسام:

– اتفضل يا مروان بيه.

– متشكر يا حسام باشا.

– قولي بقى تشرب إيه؟

– كوباية ميه لو أمكن.

دقّ حسام جرس الاستدعاء، فدخل عسكريٌّ إلى المكتب وطلب منه حسام كوب ماء، و أخرج مروان بيه من جيبه سيجاراً أشعله وبدأ ينفث دخانه في سقف الغرفة علامةً على التوتر.

لاحظ حسام توتره ففضل أن يطرق على الحديد وهو ساخن فقال:

-مروان بيه حضرتك كنت موجود امبارح في الحفلة اللي كان عاملها محمود السويفي؟

ازدرد مروان لعابه وقال:

_ أيوة كنت موجود .

ثم استدرك:

_ بس مشيت على طول مقعدتش.

قام حسام من مكتبه وبدأ يدور حول المكتب وقال وهو مائلٌ على أذن مروان:

_ أيوة حضرتك مشيت بدري ليه امبارح بالرغم من إن الاحتفال كان لسه مبدأش؟

-لا أبداً معجبنيش الجو بس.

ارتفع صوت حسام وبدا أنه على مشارف الغضب وقال:

_ مروان بيه، اللي حضرتك ماتعرفوش إننا قدام جريمة قتل، والشك محصور في الناس اللي كانت حاضرة الحفلة امبارح لأن مفيش آثار حد دخل من بره، وحضرتك كنت واحد من الناس اللي كانوا حاضرين الحفلة دي.

-لكن أنا مشيت ومحمود كان كويس وحضر بعدها الحفلة!

-وده سبب أكبر يخليني أشك فيك، ممكن تكون متفق مع واحد من الحاضرين على قتل محمود ومشيت بدري علشان الشك يبقى مش عليك.

-طيب وأنا أقتله ليه؟

-ما هو ده اللي عايزك تقولهولي بقى، وعشان كدة عايزك صريح عشان نوصل للقاتل الحقيقي.

-أنا هقولك كل اللي أعرفه يا حسام بيه بس والله أنا ما ليا يد في الموضوع ده خالص لا من قريب ولا من بعيد.

جلس حسام خلف مكتبه وشبكَ أصابع كفية أمام وجهه وقال:

_ اتفضل يا مروان بيه..

اندفع مروان يقص عليه ما حدث بينه وبين محمود وما حدث بينه وبين حمدي وختم حديثه قائلا:

_ بس والله ده اللي حصل، وبعدين خرجت وكنت مستني حمدي يكلمني يقوللي عمل إيه مع محمود أقنَعه و الا لأ.

انعقد حاجبا حسام وقال متسائلاً:

_ طيب وليه محمود السويفي قالك إن أيمن مش هيتحمل مسؤولية الإدارة بالرغم من أنه شاب وصغير وممكن يتعلم بسرعة؟

-اللي أنا أعرفه إن أيمن عايش حياته كلها برّة فمش هيفهم حاجة من شغلنا، وبعدين أكيد مادام أبوه قال كدة يبقى هو أدرى واحد بيه.

مصمص شفتيه وقال:

_ آه فعلا هو أدرى واحد بيه، طيب اتفضل انت يا مروان بيه ولو استدعيناك تاني يا ريت تجيلنا بسرعة.

-حاضر يا حسام بيه، شكراً، سلامُ عليكو.

خرج ثم دخل بعده عبد الرحمن وقال:

_ ها يا باشا أدخلّك دكتورة إيمان

-شوية كدة كمان عشر دقايق عشان دي عايزة الواحد يبقى مركز معاها أوي، و ابعتلي فنجان قهوة بسرعة.

-حاضر يا باشا.

وبعد مرور عشر دقائق دلفت الدكتورة إيمان إلى مكتب المقدم حسام؛ امرأةٌ في أوائل الأربعينات من عمرها، جميلة الملامح بيضاء البشرة، ينسدل شعرها الأسود الفاحم على كتفيها وترتدي بلوزةً وتنورةً قصيرةً نوعا ما.

جلست الدكتورة إيمان على الكرسي المقابل لحسام قبل أن يدعوها هو للجلوس فافتتح حسام الحديث وقال:

_ أهلاً يا دكتورة.

-أهلاً بيك يا حسام بيه.

-تشربي إيه؟

-لو ممكن لمون أو أي حاجة ساقعة.

قام حسام بطلب ليمون ثم توجه لها بنظرته وقال:

_ دكتورة إيمان، انتي إيه علاقتك بعائلة الأستاذ محمود السويفي؟

أخرجت سيجارةً من حقيبتها وأشعلتها قائلة:

_ أنا علاقتي بيهم عن طريق أيمن، صديقته من زمان.

–و اتعرفتو ازاي؟

تحركت في مقعدها حركةً خفيفةً وقالت:

_ ده سؤال إجباري؟ و الا ممكن مجاوبش عليه؟!

أمعن حسام النظر إليها محاولاً معرفة ما تخفيه وقال:

_حضرتك عارفة إن ده محضر رسمي، وكل سؤال بيتكتب لازم حضرتك تجاوبي عليه.

نظرت إليه نظرةً بلا انفعالات ثم أطفأت سيجارتها في الطفاية التي على المكتب وقالت:

_ أوك هجاوبك، إحنا اتعرّفنا في انجلترا هو كان بيدرس هناك، و أنا كنت في منحة تبع دراستي بعد ما اتخرجت، واتعرّفنا هناك ومن ساعتها واحنا صحاب

–ورجعتوا مع بعض من انجلترا؟!

–لا أنا جيت قبله بيومين، وبعدين هو جه وفات عليا و روحنا مع بعض علشان يعرّفني على أهله لأني كنت مشفتهمش قبل كدة و....

قطع حديثها دخول عامل البوفيه بالليمون ووضع الكوب على المكتب وأثناء وضعه الصينية تحركت يده في حركةٍ عفوية فوقع كوب الليمون على الدكتورة إيمان، ووقعت حقيبتها على الأرض وتبعثرت محتوياتها ..

انتزع حسام نفسه من مقعده ووبّخ عامل البوفيه وتوعّده بالعقاب على ما فعل، و أعطى للدكتورة منديلاً لتنظف به ما فعله العامل قائلاً:

– إحنا آسفين يا دكتورة.

ثم انحنى لكي يجمع لها أغراضها التي تبعثرت من الحقيبة فلفت نظره شيكٌ مكتوبٌ باسمها من الحاج عبد الله، فأمسكه في يده ونظر في المبلغ المدوّن ففغر فاهاً من كبر المبلغ، و انتظر حتى أتمّت الدكتورة تنظيف نفسها وهي تقول:

ـ مش عارفة همشي ازاي في الشارع دلوقت و....

قاطعها ملوحاً بالشيك:

ـ دكتورة إيمان، إيه اللي يخلي الحاج عبد الله يكتبلك شيك بمليون جنيه؟ بمناسبة إيه؟

ظهر التوتر على وجهها جليا ثم قالت:

ـ شغل، شغل بيني وبينه.

دار حسام حول مكتبه و وقف أمامها بالضبط ثم مال أمام وجهها قائلاً:

ـمش انتي لسه قايلة انك كنتي رايحة مع أيمن علشان لسه هتتعرفي على أهله؟ صح ؟!

قالت متلعثمةً:

_ أيوة صح وروحت واتعرفت عليهم، و اتكلمت أنا والحاج واتفقنا على شوية شغل وكتبلي الشيك ده.

-طب ازاي كتبلك الشيك ده يوم ما أيمن وصل من السفر والشيك تاريخه من شهر؟

توترت أكثر وأكثر وبدأ العرق ينصب على جبينها وقالت:

_ أنا قلت لحضرتك ده شغل سر بيني وبين الحاج، وأظن ده ملوش دعوة بالقضية اللي حضرتك جايبني علشانها، ومن حقي مجاوبش إلا قدام مباحث الأموال بقى لو حضرتك عاوز.

-لا لا، خالص إحنا مش قصدنا حاجة وحشة يا دكتورة ، اتفضلي تقدري تروحي بس بعد إذنك تفتحي تليفونك علشان لو احتجناكي تجيلنا على طول، بدل ما ابعتلك حد وشوشرة وكدة.

قامت مسرعةً من مجلسها، فاستوقفها حسام قائلاً ملوحاً بالشيك الذي مازال بيديه وقال مبتسماً:

_الشيك يا دكتورة .

أخذت الشيك من يده وخرجت مسرعة.

ثم دخل عبد الرحمن إلى المكتب وقال محدّثاً حسام:

_ إيه يا باشا هي مالها خارجة ليه متوترة كدة؟ إيه انت عملت فيها إيه؟

-بعدين .. بعدين .. أخبار حمدي وهدى إيه؟

-منهارين ومش بيتكلمو خالص يا باشا.

-طيب هاتلي حمدي.

-حاضر ثواني ويكون عند سعادتك.

وبالفعل لم تمر عدة ثواني إلا وكان حمدي بداخل مكتب المقدم حسام، منهاراً لا يقوى على النظر إليه، فأشفق عليه حسام لأول مرةٍ منذ رآه، وترددت داخله جملة "ارحموا عزيز قومٍ ذل" فقال له بهدوء:

_ اتفضل اقعد يا حمدي بيه

جلس حمدي مكسوراً ذليلاً وقال بصوتٍ واهن:

_ والله العظيم يا حسام باشا أنا ما قتلت أخويا، أنا عارف إن سمعتي مش و لابد، وعارف إن فيا عبر كتير، لكن أقتل أخويا لا يمكن! إزاي! ده لحمي ودمي!!.

-أمال تفسّر بإيه الكلام اللي كنتوا بتقولوه إنت وهدى أختك؟

-دي هلفطة كلام، أي كلام بيتقال في الهواء يا حسام بيه، وبعدين أنا كنت متضايق أنه هيكتب ثروته كلها باسم أيمن ابنه.

-و إيه اللي يزعلك في ده؟ دي فلوسه وده ابنه و أولى واحد بالفلوس دي، وبعدين إنت عندك اللي يكفيك وزيادة على ما أسمع.

-يا حسام بيه الموضوع مش موضوع إن عندي كتير و الا قليل، الموضوع كان اتفاق بيني وبين محمود الله يرحمه كنت متفق معاه لما يجي ويرجع أيمن يبقى الثروة هتتقسم بيني وبينه بالنص.

-وده ليه؟ ومقابل إيه و إشمعنى إنت بالذات؟

صمت حمدي بضع لحظاتٍ ليرتّب أقواله لأنه شعر أنه بذلك يدين نفسه أكثر، فقال في لهجةٍ بدت غير مقنعةٍ له شخصياً: علشان أنا اللي كبّرتلوا شغلوا و....

قاطعه حسام:

_ إزاي و إنت شغّال في مجال وهو شغّال في مجال تاني خالص

تلعثم حمدي قائلاً:

_ لا كنت بساعده .

وأكمل شارداً:

_ آه ساعدته كتير...

-طيب هنفترض إن كلامك ده صحيح، هل ده يديك الحق إنك تاخد نص الثروة؟

-ما أنا قلت لسعادتك ده كان اتفاقنا وهو قبل بيه

-واتفاقكو ده مكتوب أو موثّق؟

-لا طبعا وهنوثقه ليه ما هي كلمة شرف وبعدين محمود متعودش يخلف كلمته أبداً!

-وأهو خلفها المرادي، ليه بقى ؟

-ما هو ده اللي خلاني أهلفط بالكلام ده، كلام .. مجرد كلام والله.

-ماشي يا حمدي بيه، حضرتك هتروح دلوقت لكن اعمل حسابك هنبعتلك تاني عشان نكمل التحقيقات.

-حاضر يا حسام بيه وقت ما تعوزني هتلاقيني أنا تحت أمرك.

ثم انصرف خارجاً وقابل هدى بالخارج فالتقت عيناهما للحظة ثم دخلت إلى مكتب المقدم حسام الذي استقبلها واقفاً ثم أجلسها أمامه وقال لها:

_آنسة هدى ممكن أعرف بقى إنتي إيه علاقتك باخوكي محمود الله يرحمه؟

تنهدت هدى تنهيدةً حارّةً وقالت:

_ محمود الله يرحمه كان أطيب واحد في اخواتي لكن بعد ما إتجوز ثريا أم أيمن وهو إتغير خالص، و بقى يبص دايما لفوق، وبالرغم من إنه هو وحمدي مكانوش منسجمين أوي مع بعض زمان لكن بعد ما بقى معاه فلوس انسجم مع حمدي أوي لأنهم هما الاتنين طموحهم عالي، فبقوا مع بعض في كل حاجة بيعملوها، وبدأ محمود ميسألش على أخباري ولا أخبار أخوه سيد لحد الحاج صمم إننا نروح نقعد معاه في القصر، بعدها مات حمى وحماة محمود فأنا قبلت وسيد مرضيش.

-طيب وليه اتفقتي مع حمدي على قتله؟

-أنا ماتفقتش على حاجة، وحمدي أنا عارفاه كان بيتكلم أي كلام وخلاص.

-بس تبعاً لأقوال عم مصطفى السواق انتي كنتي موافقاه على اللي عايز يعمله، وده هثبته لسه في محضر رسمي.

-أنا كنت بفض طاقة جوايا في الكلام وخلاص، لكن أنا موافقتوش على حاجة، لأنني أنا كنت واثقة إنه بيتكلم كلام في الهوا.

-طيب و انتو بتتكلمو كان حمدي بيقولك انتي مش فاكرة اللي عامله فيكي قولتيله "هاسمحه زي ما سامحتك"

-خلاص يا حسام بيه اذكروا محاسن موتاكم.

-ونِعمَ بالله، بس انتي مش فاهمة إن كل كلمة هتقوليها ممكن تكون سبب في براءتك، لأن انتي موقفك صعب في القضية .

-والله ما قتلته ولا اشتركت حتى في قتله.

-طيب يبقى احكيلي كل حاجة حتى لو شايفاها بسيطة.

-حاضر أنا هحكي لسعادتك، قبل ما يتجوز محمود من ثريا كنا غلابة على قدنا. وأبويا موظف حكومة، وأنا زي أي بنت حبيت واحد جارنا وهو حبني حب شريف، ولما حسينا إحنا الاتنين إن ظروفه اتحسنت شوية وخلّص دراسة وكان مستني جواب القوى العاملة، جه للحاج وطلبني منه وقرينا فاتحة وعدت سنين ومحمود وبعدها بست شهور تقريبا جه مدحت - اللي هو خطيبي - وقال للحاج إنه عايز يكتب الكتاب قريب، وإنه جهز الشقة خلاص وفاضل العروسة تيجي تنورها، الحاج قاله طيب أشور اخواتها ولما كلم إخواتي سيد وافق وبارك الموضوع وكمان إداني فلوس كان

محوشها علشان لو فيه حاجة ناقصة في جهازي لكن محمود وحمدي رفضوا وبشده وحمدي علشان الموضوع ميكملش فضل يزن على دماغ محمود الله يرحمه ويقوله ده مش مستوانا دلوقت إحنا فين وهو فين وخلاه هو في وش المدفع علشان الحاج كان بيسمع كلام محمود أكتر واحد لأنه بيحبه، ولأنه أكتر واحد مثقف بينا فرأيه كتير بيبقى صح، أنا فضلت أتحايل على الحاج إنه يغير رأيه ويوافق وينفذ كلمته مع مدحت، لكن محمود أقنعه بحجج ملهاش أساس من الصحة وأقنعه انه طمعان فينا وإلا إشمعنى دلوقت طلب يتمم الجواز يعني وكلام من ده، والحاج كمان بيثق في محمود وسمع كلامه ورفض وأخدني بعدها لحد ما حمدي كالعادة فضل يتكلم معايا ويقنعني بكلامه إنه عمل كدة عشان مصلحتي وأنا صدقته وسامحته، أما محمود فكان حاسس إنه مغلطش في حقي علشان يتأسف، ولحد ما مات الله يرحمه كانت العلاقة بينا بحدود بالرغم من إني بحبه جدا والله!

ثم انخرطت في البكاء قائلةً:

- الله يرحمك يا محمود، لكن والله أنا ما ليا أي يد في موضوع موته ده .. اقسم بالله ده كل اللي اعرفه

سألها حسام:

_طيب وإيه طبيعة العلاقة بين حمدي أخوكي ومحمود الله يرحمه؟

-علاقة عادية زي أي اتنين اخوات

-لأ يعني مثلا كان بينهم شغل مشتركين فيه ؟!

-لا مظنش لأن حمدي شغال في المقاولات ومحمود في التصدير والاستيراد وشغلهم مالوش علاقة ببعضه.

-طيب وحمدي جاب فلوسه دي منين؟

-محمود بعد ما استلم الورث بعد موت مراته إدى لحمدي مبلغ كبير أوي، وحمدي بدأ بيه حياته وبقى يزوده وكان كل مرة لما السوق بتاع المقاولات يقع كان بيجي ياخد فلوس من محمود تاني.

-طيب وإيه اللي يجبر محمود على كدة؟

-عشان هما اخوات أكيد.

-طيب ما سيد أخوه برضه ليه معملش كدة معاه؟

-سيد من يومه وهو شقيان وتعبان، واتعود ياكل من عرق جبينه، ومش بيحب يبقى عالة على حد، ومحمود عرض عليه يجي يعيش معانا هو ومراته، وعياله لكن هو رفض وفضل قاعد في بيتنا القديم وحتى عرض عليه فلوس مرضيش برضه.

-ومتعرفيش إيه السبب؟

-لا هو حتى مقالش إيه السبب، لكن أنا زي ما بقلك، يمكن عشان هو اتعود يكون عصامي ويعتمد على نفسه مش على الغير.

-طيب وطبيعة علاقة الحاج ومحمود؟

-الحاج طول عمره بيحب محمود أوي أكتر واحد فينا، و حتى لما محمود خلّف أيمن بقى يلاعب أيمن ويهتم بيه ويحبه أكتر من نفسه، و بقى عنده رقم واحد حياته، و أيمن كان بيعتبره هو أبوه مش جده.

-عمرهم ما حصل بينهم مشاكل؟

-لا خالص.

-طيب إتفضلي إنتي روّحي دلوقت يا هدى هانم وهنبقى نبعتلك تاني.

-شكراً ياحسام باشا.

وانصرفت هدى ومرّت ثواني ثم دخل عبد الرحمن المكتب وفي يده ورقة، و أغلق وراءه الباب ثم جلس أمام حسام وقال:

إيه الأخبار يا باشا، وصلت لحاجة؟!

هرش بسبابته رأسه وقال:

_ أنا كنت مفكّر إن القضية دي سهلة، لكن الأمور اتشابكت ومش عارف ليه حاجات مش فاهمها، المهم قولّي ده تقرير المعمل الجنائي اللي في إيدك ده؟

-الله عليك يا باشا لماح طول عمرك!

-مش محتاجة فكاكة يعني، أكيد دي مش استقالتك، فيبقى حاجة تخص قضيتنا واللي احنا مستنينوا هو تقرير المعمل الجنائي، يبقى أكيد هو اللي في إيدك؛ المهم وريني يا سيدي.

فضّ حسام الورقة وقرأ ما بها ثم قال لعبد الرحمن:

- تقرير المعمل الجنائي بيقول إن محمود السويفي اتقتل حوالي الساعة ٢ بالليل وهما خلّصوا الحفلة الساعة ١٢:٣٠ يعني بعد ما

دخلوا يناموا بساعة ونص، كمان بيقول إنه اتدبح بسكينة مطبخ من سكاكين البيت وكان مكانها حاجة سكرية غالباً تورتة أو جاتوه، ده زائد إن اللي قتل جسمه مش قوي لأن آثار المقاومة واضحة على رقبة محمود و محمود جسمه كان ضئيل شوية فأكيد اللي بيقاومه جسمه برضه قليل وإلا كان أحكم السكينة على رقبته على طول، بس يا باشا بما إن الشبابيك والبيبان معليهاش آثار عنف يبقى أكيد اللي قتل ده كان قاعد مع محمود السويفي في المكتب قبلها واتشاكلوا، وفجأة قام قتله، لأنه لو دخل فجأة عليه وفي إيده السكينة كان على الأقل هيصرخ أو يعلي صوته.

-أول مرة تقول حاجة صح، معنى كدة إن آخر واحد كان بيتكلم معاه هو اللي قتله وده يخلينا ننسى مروان وإيمان لأنهم مشيوا وماباتوش في القصر.

-ومش بعيد يا فندم يكون مروان أو إيمان رجعوا تاني بعد ما كلهم ناموا ومحمود فتحلهم على أساس انهم هيتكلموا مع بعض وبعدين حصل التطور والجريمة، خاصةً إن أداة الجريمة كانت عند محمود في المكتب لأنه هو اللي كان واخدها عنده بيقطع بيها الجاتوه فمعنى كدة إن النية مش مبيّتة عند القاتل وإلا كان جاب سلاح جريمته بنفسه وقتله بيه وده يرجعنا لأن النقاش بين القاتل ومحمود السويفي كان عادي لحد ما اتطور الموضوع بينهم وخلصت الجريمة.

-تصدق تفسير منطقي!

-من بعض ما عندكم يا فندم.

–بس ده هيتوقف على نقطة مهمة.

–إيه هي يا فندم؟

–عايزك تعرفلي آخر أرقام اتصلت بمحمود السويفي كانت مين و إيمتى.

–بس كدة؟ دي بسيطة ثانية واحدة واجيلك يا فندم.

خرج عبد الرحمن ليقوم باتصالاته لمعرفة المطلوب وترك حسام غارقاً في تفكيره في من الجاني من هؤلاء، هل هو حمدي أم هدى أم إيمان الغامضة، أم مروان شريكه أم سيد أخوه؟

أمسك ورقةً وقلماً وخطّ بها دوائر، بكل دائرةٍ كتب اسم احد المشتبه فيهم وبدأ ينظم أفكاره أملاً منه في معرفة لغز قضيته ومعرفة القاتل.

***

خرجت الدكتورة إيمان من مكتب المقدم حسام وفور وصولها إلى سيارتها اتصلت برقمٍ مسجّلٍ عندها وقالت:

– ايوة يا حاج، المقدم حسام شاف الشيك اللي كنت كاتبهولي.

صمتت لتستمع إلى محدثها وردت:

_ لا طبعا كنت لسه مصرفتهوش هصرف مليون جنيه يا حاج اوديهم فين دلوقت؟ .. حاضر يا حاج .. حاضر يا حاج .. لا طبعاً مقولتش أي حاجة بس يا حاج أنا مش بتاعة مشاكل ومش عايزة

مشاكل أرجوك، حاول تخرجني من اللي أنا فيه ده علشان المقدم حسام ده شكله صعب أوي ورخم أوي .. حاضر .. حاضر .. مع السلامة.

ثم أنهت المكالمة وحدّثت نفسها قائلة:

_ إيه اللي بتعمليه ده يا إيمان! إنتي هتورطي نفسك في إيه تاني! ربنا يستر ويعديها على خير .

ثم أدارت سيارتها و انطلقت إلى منزلها.

***

لمعت عينا المقدم حسام فجأةً وأمسك سماعة التليفون واتصل برقمٍ ما ليسمع صوت عبد الرحمن على الطرف الآخر من الخط وقال له:

- عبد الرحمن انت خلصت؟ رد عليه عبد الرحمن:

_ خلاص التقرير هيتبعتلي بالفاكس حالاً يا فندم

-طيب بالمرة عايزك تكشفي في كل شركات الطيران عن اسم إيمان أحمد فودة، أو أيمن محمود عبد الله السويفي، شوفلي آخر رحلة عملوها خلال الشهرين اللي فاتوا دول ووصلوا إيمتى من سفرهم وهاتلي التقرير حالاً.

لم تمض عشر دقائق إلا وكان عبد الرحمن داخل المكتب ومعه التقرير فسأله حسام:

_ها إيه الأخبار؟

بدى على عبد الرحمن التعجب وقال:

_تقرير شركات المحمول بتقول إن آخر رقم محمود السوفي متصل بيه هو رقم مروان، أما اللي أنا استغربله بقى إن ولا أيمن ولا الدكتورة إيمان كانوا متسجلين في أي شركة طيران من حوالي ثلث سنين من أول امبارح وده معناه إنهم مكانوش برّة مصر أصلاً صح؟

هبّ حسام من مقعده وقال:

_ هو ده اللي أنا كنت متوقعه وده معناه إن فيه سر في الموضوع، وإن أيمن مكانش مسافر برّة مصر؛ كثّفلي المراقبة على الدكتورة دي.

قطّب عبد الرحمن حاجبيه وقال:

_ حاضر، طب وحضرتك هتبدأ بمين؟

-غالباً الحاج عبد الله، بس الكلام ده بكرة بقى، أنا خلاص قربت أنام و أنا واقف، يالله روح إنت كمان ونتقابل بكرة الساعة ٨.

-لا يا فندم اتفضل حضرتك وانا هستنى شوية وهبقى أروّح.

-خلاص، أوك ، براحتك، يالله تصبح على خير

-وحضرتك من أهله.

وانصرف الاثنان من المكتب، فتوجه عبد الرحمن إلى مكتبه وأغلق الباب على نفسه وحاول التركيز وترتيب الأحداث ليصل لجدِ

شخصيٌّ لنفسه ويصل لحل القضية قبل رئيسه ليثبت له أنه تلميذٌ نجيب ثم استغرق في التفكير.

***

خرج حمدي من مبنى المباحث ووقف ينظر إلى يمينه ثم إلى يساره حتى وصلت سيارةٌ تحمل ماركةً من أبهظ الماركات ثمناً وترجّل منها السائق ليفتح الباب الخلفي لحمدي فنفض حمدي ملابسه ثم دخل إلى سيارته وقال للسائق:

_ إطلع على شركة محمود بيه .

ظهر التأثر على وجه السائق حينما ذكر اسم محمود ورد متأثراً:
_حاضر يا باشا.

ثم توجه صامتاً إلى مقر الشركة بالمعادي تاركا حمدي في الأريكة الخلفية مطلقاً لتفكيره العنان، ولو سبحنا في تفكيره لوجدناه يفكر في تطور الأمور وإلى ين ستصل به و وضع نهاياتٍ سعيدةٍ و غير سعيدةٍ لهذه القضية حتى قطع تفكيره صوت فرامل السيارة وهي تقف أمام مقر الشركة فصعد إلى مكتب مروان ودخل دون أن يستأذن السكرتير كما هو معتاد، فرحّب به مروان ثم افتتح الحديث قائلاً:

_مالك يا حمدي شكلك مبهدل أوي كدة ليه؟

—يعني إنت مش عارف؟! مش عارف إني كنت في المباحث بيتحقق معايا و إنت عارف اني مش متعود على الجو ده.

—معلش إصبر، إحكيلي بقى إيه اللي حصل من امبارح؟

-طيب هاتلي كوباية مية الأول.

طلب مروان من سكرتيره كوبين ليمون وكوب ماءٍ ثم نظر إلى حمدي وقال:

_ ها يا سيدي إحكيلي بقى إيه اللي حصل؟

-إمبارح بعد ما إنت مشيت دخلت أنا اتكلمت مع محمود، وثار عليّا، وشدّينا في الكلام مع بعض، و اتطرّقنا لمواضيع قديمة، و بدأ صوتنا يعلى لحد ما حسينا إن الأمور مش هينفع نناقشها دلوقت فقفلنا الموضوع، و بعدين دخل سيد لمحمود المكتب و اتكلموا مع بعض، وصوتهم علي، وبعدين أزمة السكر جات لمحمود ودخلنا كلنا نشوفه ونتكلم معاه ونسأله هو وسيد إيه اللي حصل و الاتنين رفضوا يتكلمو.

-ها وبعدين؟

-وبعدين احتفلنا احتفال كان مش لذيذ طبعاً وخلّصنا بدري، وكل واحد طلع أوضته وصاحبة أيمن مشيت ومحمود دخل مكتبه، وصحينا تاني يوم على الخبر لما هدى دخلت لمحمود شافت نور المكتب شغال فشافت المنظر صرخت ونزلنا كلنا، اتصدمنا طبعاً وبعدين جالنا حسام شوكت وحصل اللي حصل.

-طب وليه حسام شوكت قبض عليك إنت وهدى؟

بدا الغضب والمقت على وجه حمدي وهو يقول:

_علشان الحيوان مصطفى السواق بتاع الحاج سمعني أنا وهدى واحنا بنتكلم وكنا بنهلفط بشوية كلام زي اللي أنا قلته معاك وقاله لحسام وللضابط التاني اللي معاه.

-وطبعاً بما إن مفيش كسر ولا آثار عنف في القصر يبقى انتو المتهم الأول انت وهدى.

-هو قال كدة برضه.

-طيب و إنت عملت إيه ولا ناوي تعمل إيه؟

-مش عارف إنت إيه رأيك؟

انعقد حاجبي مروان ونفث دخان سيجاره في الهواء وقال:

- لو حسبناها بالعقل هنلاقي إنك أكتر واحد الأدلة ضده، وهنلاقي إن حسام شوكت عارف إنك المتهم الأول والشاهد الوحيد على الكلام اللي كان بينك وبين هدى واللي خلاك إنت المتهم الأول هو مصطفى السواق .

ثم استدار فجأةً ونظر في عيني حمدي وقال:

_ و يبقى كدة مفيش إلا إن حسام شوكت يأخذ أقوال مصطفى السواق في التحقيقات الرسمية وكام تظبيطة من بتوع المباحث أو النيابة وتتعلق إنت في حبل المشنقة يا حلو ؟

ارتبك حمدي وتخبّطت قدماه ببعضهما علامة الخوف والتوتر وقال بصوتٍ متحشرج:

_ مشنقة؟!! طب وإيه الحل يا مروان؟؟

أطفأ مروان سيجارته ثم أشعل أخرى وقال:

_ الأول عايز أسألك سؤالين عشان أعرف أساعدك.

-إوعى تسألني وتقلي قتلت أخوك و الا لأ؟

-أيوة فعلاً، بس جاوبني بصراحة إنت قتلته أو ليك علاقة من قريب أو بعيد بقتله؟!

ظهر الانفعال والتوتر أكثر وأكثر على حمدي وقال مرتبكاً:

– أنا... أنا ... أكيد لأ مليش علاقة.

زفر مروان ثم قال:

_ طيب نيجي لحل المشكلة...

رد حمدي متلهفاً:

_ إلحقني بيه!

-أولاً متتكلمش في ورث ولا أي حاجة تخص الفلوس أبداً، ثانياً لازم تسكّت مصطفى السواق بأي طريقة لأن هو شاهد الإثبات الوحيد عليك، وكلامه لو اتغير هيغير كلام كتير <

ظهر الانفعال والتوتر على وجه حمدي مشوباً بخوف فقال:

_ إنت قصدك إيه؟! أقتله يعني؟!

و ارتجف جسده واستطرد قائلاً:

- لا مش ممكن! أنا كدة ابقى بأكد التهمة عليا لأن أنا اللي ليه المصلحة الوحيدة في قتله فكل الشكوك هتبقى عليا أنا .

رد مروان مهدئاً:

_ ومين اللي قال قتل؟ أنا قلت تسكته مش تقتله.

-قصدك إيه؟

-قصدي تديله فلوس مثلاً، تهدده إنك هتقطع عيشه، كدة يعني، فيه مليون طريقة غير القتل يا حمدي .

التقط حمدي أنفاسه قليلا وقال:

_ آه، لو كان على كدة ماشي أنا هكلمه و أشوف طلباته إيه بس تفتكر لو مرضيش أعمل إيه؟

-ساعتها يبقى لينا تصرف تاني خالص ..

والتمعت عيناه بلمعةٍ ذات مغزى.

***

ساد الصمت على مائدة الطعام في منزل محمود السويفي وتراصّ أفراد الأسرة على كراسي السفرة عدا حمدي، و قطع حبل الصمت الحاج عبد الله قائلاً:

_حمدي ما اتصلش يا هدى؟

بدت هدى شاردةً ولم ترد، فكرّر الحاج سؤاله بصوتٍ أعلى فانتزعها الصوت من شرودها وقالت:

_لا يا حاج هو شوية كدة وهتلاقيه جاي .

نظر إليها الحاج عبد الرحمن وقال:

_مالك يا هدى؟ سرحانة كدة و وشك مش عاجبني خالص .

زفرت هدى زفرةً حارّةً و قالت:

_هو اللي احنا فيه ده شوية يا حاج!

-الحمد لله على كل شيء يا بنتي، قضا أخف من قضا.

فرك الحاج يديه ببعضهما و أنهى طعامه ثم قام من مجلسه وذهب يستريح بغرفته، ثم تلته هدى فقامت ودخلت غرفتها و تبقى أيمن وسيد، فنظر سيد إلى أيمن وقال له:

_ أيمن يا حبيبي أنا عايزك تعتبر أبوك موجود، إنت عارف أنا بحبك قد إيه وعارف معزّتك عندي، والحمد لله على كل شيء ربنا بيختبر اللي بيحبه واللي عارف انه يستاهل رحمته وفضله، أوعى تقنط من رحمة ربنا، ده ربنا كبير وليه حكمة في كل حاجة بيعملها.

بدا أيمن وكأنه لا يسمع عمه فوجهه صامتٌ لا تبدو عليه أي تعبيرات، وبدا وكأنه آلةٌ تحرك الطعام من الأطباق إلى فمه، وظلّ هكذا وعمه يكلّمه حتى شكّ عمه في شيءٍ ما، فربّت على كتفه وقال:

_ أيمن إنت سامعني يا حبيبي؟

لم يبدُ أيّ ردّ فعلٍ على أيمن، فكرر سيد نداءه عليه ولكزه بجانبه لكزةً خفيفة، فانتفض أيمن انتفاضةً عنيفة، فاندهش و سيد و انزعج وقال:

_ مالك يا أيمن؟ إنت فيك حاجة ؟

ردّ أيمن بهدوء:

_ لا يا عمي مفيش، متزعلش مني يا عمي أنا بس كنت متوتر من اللي بيحصل أنا آسف.

ثم ربت على يديه وتركه وقام ليذهب لغرفته هو الآخر، و أثناء مروره بغرفة عمته هدى سمعها وهي تتكلم مع شخصٍ ما في التليفون فلم يعرها اهتماماً و أكمل سيره ولكن جذبه في كلامها كلمةٌ كانت تقولها لمحدّثها الذي كان واضحاً من الحديث أنه رجل؛ فقد سمعها تقول:

_ لا طبعاً مش هينفع أجيلك، لأن لو حد شافني أو عرف إني جيتلك الموضوع هيثبت علينا، وعليا أنا بالذات، إنت عايز تودينا في داهية؟!.

هنا لم يجد أيمن مفراً إلا من أن يتجسس على بقية المكالمة التي كان من الواضح أنها بخصوص موت والده، فاسترق السمع للمكالمة فسمع عمته تقول:

_ و إنت كمان واحشني أوي بس أعمل إيه! ما باليد حيلة ... إيه؟؟ ... صوتك مش واضح ... لا لا طبعا كله في وقته هو محدش

اتكلم لسه في الموضوع، وبعدين راعي إن أخويا لسه ميت محدش هيتكلم في ورق ولا حاجة دلوقت، وبعدين إنت ناسي أيمن ابنه؟ هو دلوقت المتحكم الأكبر في الموضوع لأنه ابنه .. حاضر .. حاضر هبقى أكلمه .. مع السلامة.

استمع أيمن إلى المكالمة وفور نهايتها نظر أمامه فوجد جده الحاج عبد الله واقفاً أمامه وعلى وجهة آثار الغضب، وجذبه من يده بعنف وصعدا السلم إلى غرفة أيمن وفور دخولهم أغلق الحاج الباب ونظر إلى أيمن نظرة عتابٍ وقال له:

_كنت بتعمل إيه قدام أوضة عمتك يا أيمن؟

نظر اليه أيمن بخوف وقال متلعثماً :

_مفيش يا جدي.

كرّر الجد سؤاله بلهجةٍ أكثر عنفاً فردّ أيمن خائفاً :

_ أنا هحكيلك يا جدي ..

وبدأ يقص عليه

***

جلس أيمن وحيداً يتأمل غرفته ويسترجع ذكريات الماضي، تذكّر والدته حين كانت تنام بجانبه على ذلك السرير تقصّ عليه القصص التي كان برغم صغر سنه يستوعب الهدف منها، كان يستفيد من والدته فهي كانت لماحةً وتنتقي له القصص التي يخرج منها بفائدةٍ او

بحكمة، تذكّر كيف كان حضنها دافئاً عندما يقوم بفعل شيءٍ خاطئ كان يرتمي في حضنها بعد وصلة التوبيخ التي كان ينالها من أبيه.

أبيه؟..

ذرف أيمن الدموع حينما تذكر أباه وكيف كان يحبه، كان يظن أن معاناته طوال تلك السنوات قد انتهت، وانه سوف يعيش مع أبيه ليعوضه حنان الأب و الأم معاً ولكن القدر لم يمهله لينال تلك الفرحة..

نظر إلى الصورة المعلقة على الحائط، تأمل كم كانت جميلةً أمه كم كانت ناعمة، في بعض الاحيان كان يحسد أباه عليها و أحياناً كان يقول له "دي خسارة فيك" فكان أبوه يضحك ويداعبه، كانوا يعيشون في سعادةٍ لا توصف، لم يكن له أصدقاء ولا أخوة، لايدري لماذا كان أبوه و أمه لايتركونه يصاحب أحداً أو يرتبط به، حتى الحيوانات، منذ أن مات كلبه الاول و الأخير بوتير، حتى المدرسة كان يذهب إليها بالكاد، كان ينتظره عم محمود السواق القديم لكي يعود به إلى البيت سريعا و لا يتكلم مع أحد.

هو لم يشعر في يوم من الأيام بأنه في احتياجٍ إلى صديقٍ أو صديقة، كان يفضل دائماً الوحدة، وكان يستمتع بوجود أمه و أبيه بجانبه، محتلّين كل حياته ولا يتركان المجال لأحدٍ ليدخلها.

كان يحبهما كثيراً ولكن حينما تدهورت الأمور و أصبح الشجار هو السمة السائدة بينهما لم يعرف لماذا انحاز إلى والدته لربما شعر أنها مظلومةٌ من أبيه، أو لأنها أحبته أكثر مما أحبه أبوه، لايعلم السبب

ولكنه لا ينسى أن معاملة أبيه له تبدلت معه هو الآخر فلم يكن أبوه يحب أحداً مثلما يحبه، فكان يغار حتى من حب أمه له؛ تذكر حين أتاه خبر موت أمه، لم يقوَ حينها أن يقف على قدميه، تذكر أنه فقد وعيه ولم يصدق ما قيل له، و أصابه انهيارٌ عصبيٌّ لازمه لفترةٍ ليست بالقصيرة.

بدت آثار تلك الذكريات على وجهه، حيث علاه الغضب وأمسك زجاجةً كانت بجانبه ورماها أمامه على الحائط لتسقط متناثرةً وأمسك رأسه بكفيه وكانه يحاول منع تلك الذكريات من الخروج من رأسه.

لم يستطع ان يمنع نفسه من التفكير فحاول تشتتيت تفكيره بالتركيز في شيءٍ آخر؛ حاول أن يفسّر مكالمة عمته لذلك الشخص في التليفون وهل لها علاقه بموت والده، ظلّ يفكر ويضع تفسيراتٍ و تبريراتٍ مختلفة إلى أن غلبه النعاس في تلك الليلة فنام متكوراً على سريره، تماماً مثلما كان يفعل وهو صغير.

***

عصفت المفاجأة بعقل الحاج عبدالله وظل يدور في بهو القصر كالأسد الهائج، لا يعلم ماذا يفعل ولا كيف يتصرف فلم يكن في حسبانه أن تكون ابنته هدى على علاقةٍ باي شاب، و إذا كان كلام أيمن حقيقي فمن هو هذا الشاب؟ هو عوّد أولاده على الصراحة فيما بينهم، لأن الصراحة هي التي تبني جسور الثقة بين البشر، ولم يكن يريد أن يواجهها بما علم خوفاً من أن يكون كلام أيمن غير صحيح

وهو يتخيله ليلصق تهمة قتل أبيه بأي شخصٍ مثلما فعل مع سيد لكي يفرّغ كل انفعلاته في أي شخصٍ يظن أنه قتل والده.

لم يستطع أن يصبر، فصعد السلم قاصداً غرفة هدى، فقابلته في الردهة العلوية والغضب يملأ وجهه، وعندما همّت بالحديث عاجلها هو بصفعةٍ قوية، ولم يمهلها أي وقتٍ لإبداء أي ردّ فعل، فأمسك بيديها وهي مذهولةٌ من المفاجأة وجذبها تجاه غرفتها قائلاً بغضب :

– متفتحيش بقك وتعالي معايا.

حاولت أن تقاوم جذب والدها لتعرف فقط ما يدعوه لفعل ذلك وقالت:

– فيه إيه بس يا حاج فهمني إيه اللي حصل؟

لم يرد عليها الحاج عبدالله وزاد من ضغط كفّه على يديها إلى أن وصلوا إلى غرفتها فأدخلها وأغلق الباب .

– قوليلي بقي وبصراحة عشان متنرفزنيش أكتر وتعصبيني، إنتي تعرفي راجل وبتكلميه في التليفون؟

بدا على وجهها الفزع والخوف، فكان كفيلاً بأن يوضح ذلك للحاج عبدالله صدق كلام أيمن، فانهال عليها ضرباً وهي تصرخ بصوتٍ عالي إلى أن انفتح الباب كاشفاً عن سيد الذي اندفع بكل قوته ليمسك يد أبيه ويحاول تهدئته، تبعه أيمن الذي أتى مسرعاً من حجرته فزعاً على الصوت قائلاً:

– فيه إيه يا جدي إيه اللي بيحصل؟

عدّل الحاج عبدالله من هندامه، و اتجه إلى أيمن وربّت على كتفه وقال له:

-مفيش يا حبيبي، حاجة إحنا كنا بنتناقش فيها بس وانفعلنا على بعض، يالله ادخل إنت أوضتك كمل نوم، و إنت يا سيد انزل استناني تحت أو روح لبيتك وتعالي الصبح.

هزّ سيد رأسه نافياً:

-لا يا حاج أنا هبات هنا، هترل أستناك تحت.

و أمسك ذراع أيمن وقال:

-يالله يا أيمن سيبهم لوحدهم دلوقت.

أفلت أيمن ذراعه من يد سيد و نظر له نظرةً غير مريحةٍ وقال مخاطباً جده:

-أنا هلبس و أنزل يا جدو أشم هوا.

ونظر إلى سيد ثم أردف:

-أصل الجو هنا مش نضيف.

ونظر إلى عمه سيد نظرةً متجهمةً و أدار وجهه بعيداً عنه متجهاً إلى غرفته، فتبادل سيد النظر مع والده الذي أومأ برأسه ومطّ شفتيه وقال لسيد:

-معلش يا سيد أعصابه متوترة، و أديك شايف الجو؛ إنزل استناني تحت و أنا هجيلك.

خرج سيد من الغرفة وترك أباه مع هدى التي انكمشت في ركنٍ من أركان الغرفه تبكي وتضع رأسها بين يديها وتصدر هنهةً بين الحين والآخر.

اقترب منها الحاج عبدالله وربّت على رأسها فانتفضت من مكانها خائفةً ورفعت يديها كي تتلقي عليها أي ضربةٍ جديدة؛ أمسكها الحاج عبدالله من كتفيها وحاول أن يوقفها على قدميها قبالته ليكلمها، فرفع خصلات شعرها من على وجهها وقال متأثراً:

–انتي عارفة إن دي أول مرة أمد إيدي عليكي فيها؟

انهارت هدى وانفجرت في البكاء، وارتمت في أحضان والدها وقالت :

–والله يابابا وحياتك عندي ما في أي حاجه غلط حصلت ولا بتحصل، أنا صاينة شرف العيلة وعمري ما غلطت.

ربّت على كتفيها ومسح دموعاً كانت مازالت ملتصقةً بوجنتيها، واجلسها على طرف سريرها وجذب هو كرسياً وجلس أمامها وقال:

–أنا عارف إنك متعمليش حاجة غلط لأني مربيكي كويس، بس عايز أعرف إنتي كنتي بتكلمي مين في التليفون من شوية.

تردّدت لوهلةٍ وبدت كأنها تبحث عن كذبةٍ لتُسكت بها فضول والدها، ولكنه شعر بها وشعر بترددها فقال لها مطمئناً:

–متخافيش يا هدى أنا مش هعمل حاجة، بس أكون موجود في الصورة معاكي بدل ما أعرف من برّة، ساعتها عمري ما هسامحك أبداً، قولي وفضفضي معايا زي زمان.

نظرت هدى إلى عيني والدها لتستشف صدق كلامه من كذبه كي لا تندم على أنها صارحته بشيءٍ ليس من المفروض أن تصارحه به، ولكنها لم تصل إلى شيء، فعزمت نيتها على تحمل كافة العواقب وقالت:

– فاكر ممدوح يابابا اللي كان متقدملي زمان؟

– آه طبعا فاكره.

من شهرين كدة كلمني، معرفش جاب رقمي منين؛ و قالي إنه اتجوز ومستريحش مع مراته وطلقها بعد سنتين، وبعدين سافر يشتغل برّة وعمل قرشين كويسين ولسه راجع، وسألني إذا كان ممكن ينفع يتقدملي تاني، و أنا قلتله أشوف أهلي و أكلمك، وطبعاً كنت فرحانة لأني بحبه زي ما انت عارف يا بابا، ومحمود الله يرحمه هو اللي منعني عنه، وبعدين هو كان ناوي خير، و من ساعتها وهو بيكلمني يتطمن عليا، والنهاردة كان بيكلمني يعرف الأحوال إيه وكان بيستأذني إنه ييجي يعزيك في محمود بس خاف من حمدي.

لم يشعر الحاج عبدالله بالارتياح من كلام ابنته فبالرغم من رائحة الصدق التي تفوح من كلامها ولكنه شعر أنه كلامٌ منقوص، و أنها تخبئ الكثير من الأسرار في ذلك الموضوع، وهو لن يهدأ إلا حين يعلم كل التفاصيل، فقد يقوده ذلك إلى مفاجأةٍ جديدةٍ من المفاجآت التي مازالت تمرّ عليه منذ يوم الأمس.

***

ترك أيمن غرفة عمته هدى وذهب إلى غرفته وجلس أمام المرآة يسترجع كل ما حدث اليوم من بدايته، حاول أن يفهم مكالمة عمته مع ذلك الشخص في التليفون، هل عمته هي من قتلت والده؟ كيف ولماذا ؟

لم يتصور في أسوأ كوابيسه أن يصل الأمر بأختٍ أن تقتل أخاها لأي خلافٍ مهما كان، ولكنه لم يمِل كثيراً لفكرة أن تقتل عمته أباه، لأنه لو فكر بالمنطق فسيجد أن لكل أعمامه دلائل منطقيةً لقتل والده، فعمته تكفيها المكالمة التي سمعها بأذنه بجانب كلامها مع عمه حمدي، وعمه سيد هو لا يرتاح للتعامل معه منذ أن كان صغيراً، وحينما عاد للقصر بالأمس بعد غياب بالسنين كان هو الوحيد الذي قابله بفتورٍ وبوجهٍ عابس لسببٍ لم يعلَمه، بجانب شجاره الذي سمعه بالأمس مع والده قبل موته، الذي كان سبباً في حدوث غيبوبة السكر لوالده، أما عمه حمدي فهو لديه سببٌ هو الآخر فلقد تشاجر أيضاً مع والده بالأمس شجاراً لم يدم طويلاً ولكنه كان كفيلاً بأن يكون سبباً في الانتقام، بجانب أنه علم من جده أنه الوحيد الذي يعرف كل أمور والده المالية، أيضاً أقوى إدانةٍ له شهادة عم مصطفى السواق ..

شعر أن رأسه ستنفجر، حاول أن يسترخي في مجلسه ولكنه لم يهدأ فهبّ واقفاً وقرّر الخروج في أي مكان، فارتدى ملابسه وترجّل على السلم، فوجد جدّه وعمه سيد جالسين بجانب بعضهم مخفضي الصوت ويتكلمون بهمسٍ حتى لا يسمعهم أحد، حاول أن يصدر صوتاً بحذائه حتى يشعروا بنزوله، و فعلاً عندما سمعوا صوت حذائه التفتو اليه معاً وقال جده:

–على فين يا أيمن دلوقت ؟

–خارج يا جدي هتمشى شويه.

–طب يا حبيبي خد بالك على نفسك.

و أدخل يده في جيبه و أخرج رزمة نقودٍ أعطاها لأيمن:

–تحسباً لأي ظروف، عشان لو احتجت حاجة، و أنا هخلي مصطفى يوديك مكان ما انت عايز.

أخذ منه أيمن النقود و وضعها في جيبه:

–لا يا جدي خلّي عم مصطفى، أنا هتمشى قريب هنا جنب القصر ومش هتاخر.

–ماشي يا حبيبي خد بالك بس على نفسك .

–حاضر يا جدي .

خرج أيمن من القصر وظلّ يتمشى في تلك الساعة المتأخرة من الليل إلى أن وصل إلى ميدان الحصري، فاستوقفه أحد سائقي التاكسي قائلاً:

–تاكسي يا باشا؟

انتزعته الجملة من شروده، فوجد نفسه يقول للسائق:

– آه ماشي.

ابتسم سواق التاكسي ابتسامة صيادٍ عثر على فريسةٍ بعد طول انتظار وفتح لأيمن الباب الخلفي:

- اتفضل ياباشا، على فين حضرتك

نطقها بعد ان جلس على كرسي السائق وأمسك عجلة القيادة؛ أجابه أيمن في حيرة:

- مش عارف أنا مخنوق وعايز أتمشى أو أروح أي مكان، و أنا جديد هنا معرفش أي مكان.

- يبقي سيبلي نفسك، مش إنت عايز تهيص؟ أنا هشهيصك!

أسند أيمن راسه على مسند الكنبة الخلفية وترك لعقله العنان ولم يلتفت إلى حوارات وحكايات ودعابات السائق التي يلقيها دون ردٍّ منه، فهو لم يكن مستعداً لسماعه، فلقد سرح في زمنٍ آخر وفترةٍ أخرى من حياته، فترةٌ أقل ما يقال عنها أنها أصعب فترةٍ في حياته، و لكنه لن ينساها.

***

انبعث صوت أم كلثوم من تلك الغرفة المتواضعة الملحقة بحديقة قصر السويفي، فكان كصوت كمانجةٍ ناعمةٍ وسط مشاجرةٍ بالأسلحه النارية؛ كان غريباً أن ينبعث ذلك الصوت من فيللا بها قتيلٌ لم يتم دفنه، إلى الآن في انتظار اسكتمال تشريحه، و بداخل تلك الغرفة جلس مصطفى السواق يدندن بصوتٍ نشازٍ مع الأغنية مما يجعلك لو سمعته تكره الأغنية والكاتب والملحن، وتكرهٰ كل من سمعها قبلك.

قطع استمتاعه صوت طرقاتٍ على باب غرفته، فأسرع يخفض صوت الراديو خوفاً من أن يكون أحدٌ من أهل القصر جاء ليوبّخه على صوت أم كلثوم العالي، و اتجه ناحية الباب قائلاً:

- مين

لم تأته إجابة من بالباب، فوقف وراء الباب وكرّر نداءه مرةً أخرى، والكنه لم يتلقَ إجابةً مرّة أخرى، عندها فتح الباب فلم يجد أحداً، و لكنه لمح ببصره على بعدٍ كبير شخصاً متشّحاً بالسواد يسرع في خطواته فصاح:

- مين هناك؟

وكالعادة لم يتلق إجابة، فمصمص شفتيه قائلاً:

- لا حول الله، عالم فاضيه والله!

و أسرع عائداً إلى غرفته يمنّي نفسه بسهرةٍ سعيدةٍ تُنسيه ماهو فيه الآن من توترٍ وقلق، ولكنه لم يكن يعلم أن ذلك القلق والتوتر ماهو إلا بدايةٌ لجحيمٍ سوف يعصف بحياته فيما بعد.

***

انهمكت الدكتورة إيمان في مطالعة تلك الملفات التي أمامها وأسرعت في ترتيبها في أكوامٍ مختلفةٍ إلى أن عثرت على ذلك الملف الذي تبحث عنه، فلمعت عيناها لمعة انتصار ووقفت أمام مرآة الدولاب تخبط الورق في يدها و تنظر إلى انعكاس صورتها في المرآة و في راسها تدور بعض الافكار السوداء.

طرقعت سبابتها و إبهامها علامة الوصول الى هدفٍ معيّنٍ كانت تريده وغمغمت:

- Yes!

همّت بترتيب الأوراق المبعثرة ولكنها نظرت إلى ساعة يدها فرأت أن الوقت متاخر، فالتقطت حقيبة يدها والملف الذي عثرت عليه بين أكوامِ الورق ثم نزلت مسرعةً في أسانسير بنايتها وألقت تحية المساء على عم أحمد البواب الذي استغرب نزولها من بيتها في تلك الساعة المتاخرة من الليل فقال:

-على فين يا دكتورة؟ دلوقت الشوارع قلق وبيقولوا فيه مسيرات عشان بكرة الجمعة.

أشارت له بلامبالاةٍ وهي تُخرج ريموت سيارتها:

-متخافش يا عم أحمد مشوار قريب وراجعة.

أدارت سيارتها وتحركت في شوارع المعادي، تلك المنطقة التي تسكن بها، و انهمكت في التفكير ولم تلاحظ تلك السيارة التي تبعتها من وقت تحركها إلى أن وصلت إلى تلك الفيللا الموجودة على الكورنيش، والتي تضيء واجهتها بتلك اليافطة لذلك المحامي المرموق الذي لاتخلو الجرائد اليوميه من خبرٍ عنه أو له أو عليه.

وفي داخل تلك السيارة رفع الرجل الجالس فيها جهاز اللاسلكي إلى فمه قائلاً:

-ألو، أيوه يا فندم هي دلوقت وصلت لمكتب فريد منصور المحامي.

أتاه الرد من بوق جهاز اللاسلكي:

- خليك مستنيها لحد ماتخرج بس إوعي تبينلها نفسك.

- حاضر يا فندم.

أبطل محرك سيارته وتمنى لو كان موجوداً الآن في مكتب ذلك المحامي ليسمع مايدور فيه، ولكنه اكتفى بأوامر رؤسائه وأرجع كرسيه للخلف وتمدّد عليه وعيناه لا تُرفع عن مدخل تلك الفيللا.

***

انتظرت إيمان قرابه النصف ساعة وهي تفرك يديها متوترةً وتشعل السيجارة تلو الأخرى إلى أن نفذ صبرها، فصاحت في السكرتيرة دون أن تدري:

-ده مش احترام للمواعيد ده! أنا مستنيه من بدري و واخده ميعاد، مش كدة يعني ده مش أسلوب حد محترم!

نظر إليها كل الجالسين في اشمئزازٍ من الأسلوب، فكل الحاضرين كانو من عليّه القوم، وحاولت السكرتيرة أن تهدّئ من روعها قائلةً:

-إحنا آسفين يا فندم بس الدكتور فريد عنده ميعاد مهم طوّل غصب عنه، إحنا آسفين لسعادتك، أول ما يخلّص حضرتك هتدخلي على طول وكم....

لم تكمل جملتها لينفتح الباب ويخرج منه فريد منصور وهو يودّع شخصاً يظهر ظهره فقط، وما أن استدار ووقعت عينا الدكتورة إيمان عليه حتى فغر فاهها مذهولةً، فذلك الرجل هو من تراه في نشرات التلفزيون و على صفحات الجرائد، دققت في وجهه لتتأكد منه ولكنه لم يكن محتاجاً إلى التدقيق، فهو ذلك الرجل الذي من المفترض

أنه كان وزيراً بالأمس القريب و الآن هو مطلوبٌ من الشرطة، وكل الأخبار تقول أنه هرب إلى بريطانيا مأوى المجرمين والمطلوبين.

شعر الرجل بتركيزها معه فأشاح بوجهه و أشار إلى رجلين مفتوليّ العضلات فتبعاه على الفور، ونزل وهو يرمق إيمان بنظرة سخرية فالتفتت إلى السكرتيرة التي عاجلتها بابتسامة:

- اتفضلي يا دكتورة، دكتور فريد منتظرك

دخلت إيمان إلى المكتب الفاخر فانبهرت من تلك الديكورات والتحف التي لن يقل ثمنها على أقل تقدير عن ١٠ مليون جنيه لم تستطع أن تُنزل عينها من التأمل في تلك المناظر، و ارتفعت في نفس الوقت ابتسامةٌ على شفتيّ فريد الذي كان سعيداً بالانبهار المرسوم على وجه إيمان، وفي داخله تذكّر كلمة مهندسة الديكور عندما تشاجر معها على تلك التكاليف الباهظة للمكتب ولكنها قالت له حينها:

- يا دكتور التكاليف دي هترجعلك تاني بسرعة لما العميل يدخل يلاقي الحاجات دي وينبهر بدل ما كان عامل حسابه على أتعاب قليلة هيدفع أي حاجة تطلبها، لأنه شايفك مش محتاج فلوس لكن اللي بتاخده منه ده مصاريف بس وهتخليه يثق فيك.

شعر بصدق كلامها في تلك اللحظه فقط.

- اتفضلي هنا يا دكتورة.

انتزعها فريد بقوله من انبهارها و أشار إلى أحد الكرسيين الموضوعين أمام المكتب ؛ جلست إيمان و وضعت ساقاً فوق الأخرى

و أخرجت سيجارةً بعد أن صافحته و وضعتها في فمها وهمّت باشعالها، ولكنه سارع بإشعال سيجارها فابتسمت ابتسامةً خفيفةً ومالت على الولاعة ونفثت دخان سيجارها في الهواء:

-دكتور فريد أنا عارفة إن كل عملائك من الوزرا و أولاد الوزرا ورجال الأعمال.

رفع فريد ياقة قميصه و اتكّأ على مسند كرسيه المتحرك بيديه كطاووسٍ يستعرض نفسه في موسم التزواج:

-آه طبعا، و أديكي شايفه اللي لسه خارج من عندي، أول مانزل من الطيارة جالي على طول علشان أمسكله قضيته.

-آه شفته.

ومالت عليه قائلةً:

-بس إنت طول عمرك في صف رجال الأعمال والوزرا والناس الكبار، يعني شهرتك واخدها من وجودك في ضلهم.

ارتسمت علامات عدم الرضا على وجه فريد وقال بعصبية:

-يعني إيه اللي حضرتك بتقوليه ده؟

سحبت نفساً طويلاً من سيجارها ونفثت دخانه في وجهه قائله :

-مش أنا اللي بقول، دي الناس اللي بتقول، كمان بيقولوا إن حضرتك مش محامي جامد ولا حاجة، لكن عشان إنت كنت قاضي فليك دلال على زملاءك القضاة، وعشان إنت بتأكلهم كمان.

لم يستطع فريد ان يسيطر على أعصابه فهبّ من كرسيه غاضباً:

-إنتي جايه تهزئيني في مكتبي يا دكتورة؟ إتفضلي لو سمحتي إطلعي برّة أنا عندي مواعيد!

ربتت على يديه وهي جالسةٌ ومعالم الهدوء على وجهها وقالت:

-إسمع مني بس يا دكتور، إتفضل أقعد و أنا أكملك كلامي وهتفهم قصدي.

حاول أن يهدئ من عصبيته إلى أن تنتهي من حديثها حتى يعلم ماذا تريد تلك المرأة التي أفسدت حلاوة ذلك اليوم في آخره؛ فالتقط سيجاراً كوبيّاً من علبةٍ مرصّعةٍ بالفضة ومياه الذهب وأشعلها:

-إتفضلي كملي.

أطفأت سيجارها في منفضة السجائر العاجيّة الموجوده على المكتب ونظرت إلى عيني فريد نظرةً متمرسّةً جعلت فريد يشعر أنها سبرت أغواره، و أنها تنوّمه مغناطيسياً فنفض ذلك التفكير عن رأسه عندما فاجأته بقولها:

-إيه رأيك بدل ما انت طول عمرك في صف الناس الكبار، تقف المرة دي ضدهم، متهيألي ده هيديك شهرة أكبر .

لم يرد أن يقاطعها ولكن فضوله غلبه:

-إزاي ؟

قامت من كرسيها ولفّت في حركةٍ مسرحية:

- أفهّمك، تعرف عيلة السويفي؟

- أكيد طبعاً أعرفها و مين ميعرفهاش.

- طيب سمعت عن جريمة القتل اللي حصلت في القصر بتاعهم النهاردة الصبح؟

- آه سمعت إن محمود السويفي إتقتل.

- أهو أنا جايلاك بخصوص ده بقى.

بدت على ملامحه الحيرة:

- طيب و أنا دخلي إيه في الموضوع، هعمل إيه يعني؟

مالت على مكتبه في إغراء فظهر معظم صدرها من ذلك الثوب الذي ترتديه ولكنها لم ترى التأثير المطلوب على وجهه فلم تكن النساء ما يغريه كل كان ما يغريه هو النقود؛ فهمت ذلك سريعاً بحكم خبرتها فقالت:

- إيه رأيك في نص مليون جنيه مبدئياً قابلين للزيادة.

- تمام بس إيه القضية و إيه المطلوب؟

أجابته باهتمام:

- إنك تحميني منهم.

- أحميكي؟

- أيوه .

- من إيه هما عايزين يئذوكي؟

- أنا هحكيلك كل حاجة.

وانطلقت تحكي له كل شيءٍ وهو يزداد اندهاشاً مع كل جملةٍ تنطق بها..

ويزداد...

***

صاخبةٌ هي تلك الأماكن، لم يكن معتاداً على ارتيادها، لم يتصور نفسه في أحدها يوماً ما، و لكنه لم يدري أين هو إلا بعد أن دلف إليها، عجيبٌ هو هذا السائق، لم يكن يعرفه و لا رآه من قبل، ولكنه عامله وكأنه أخٌ له و يعرف كل مشاكله، فأين المكان الذي سينسيه همومه مثل هذا المكان؟

تمشى أيمن إلى ان وصل إلى البار فجلس على كرسيٍّ طويل، لم يكن يلمس الارض بقدميه وهو جالسٌ عليه، نظر إلى البار مان الذي تعلو وجهه تكشيرةٌ تجعلك توقن أنه يحمل هموم الدنيا والآخرة، ومع ذلك فهو يستطيع رسم الابتسامة والضحكة على وجوه كل المجودين بما يفعله من "شوو"، صفّق بيديه ليلفت انتباه البار مان إليه، فنظر النادل تجاهه وجاهد ليرسم ابتسامةً على شفتيه:

- تحت أمرك يا فندم.

- عندكو إيه يتشرب؟

ضحك البار مان ضحكةً بدت من القلب وقال:

-هو حضرتك جديد هنا ولا إيه؟

نظر أيمن إلى نفسه و إلى ملابسه نظرةً سريعةً وقال:

-هو أنا باين عليا أوي كده؟

-لا يا فندم ما أقصدش، بس أصل ده مش سؤال حد بيجي هنا كتير، حضرتك إنت في كباريه وفيه بار، و إنت شايف الجو عامل إزاي، يبقي هيكون عندنا إيه يتشرب؟ يعني أكيد مش كابتشينو ولا قهوة!

ابتسم أيمن ابتسامةً باهتة:

-على رأيك! معلش أنا آسف إديني أي حاجه تنسيني.

أومأ الرجل برأسه و أشار بسبّابته لعينيه وقال شيئاً لم يسمعه منه أيمن من صخب المكان، أدار أيمن عينيه في وجوه مرتادي هذا المكان الذي بدا غريباً عليه كانت حياةً جديدةً لم يعش مثلها من قبل؛ فهو مكانٌ لا يستر أكثر مما يعرّي، فالنهود الظاهرة خارج كهوفها، والجيب القصيرة التي تضفي إثارةً أكثر مما لو كانت غير موجودة، مؤخراتٌ تتراقص هنا وهناك لا تجد لها رادع.

تعجب من الشعر الليس الناعم الأسود و البني، فلقد بدا غريباً بين لوك ميريام فارس المنتشر بين مرتادي المكان ملوناً بألوان غريبة تأخذك لفترة السبعينات.

راقصةٌ ترقص على الاستيدج لا ينظر إليها أحد تتمايل على أنغام موسيقى غير موزونة، كل آلةٍ تلعب في مقامٍ غير الأخرى تجعلك

تشعر أن الآلات مسطولةٌ من الدّخان الأزرق المنتشر في المكان كضبابِ المحور في صباح يومٍ من أيام الرطوبة.

بدت غريبةً تلك البنت بين كل تلك المشاهد، جميلةٌ هي، رآها أيمن رغم الضباب، تبدو هادئةً صامتة وسط هذا الزخم، تبدو كسيارة سيات معطلةٍ بين سيارات بي إم دبليو وفيراري يزعق شكمانها بقوة، قاوم رغبته في أن يذهب إليها فهي تجلس وحدها ليس معها شخص على طاولتها، و لكنه قاوم ذلك لأنها أول مرةٍ يشعر بانجذابه لامرأة، ولم يكن يعرف ما سيؤول إليه حواره معها فآثر الصمت و أدار وجهه فوجد البار مان يغمز بعينه ويناوله كاس البراندي قائلاً:

– عاجباك؟

نظر إلى الكاس وقال له:

– أنا لسه مدقتوش!

مال على أذنه ورفع صوته ليسمعه:

– أنا ماقصدش البراندي، أنا اقصد البنت اللي عينك متشالتش من عليها.

ابتسم أيمن في حرج:

– هو أنا مفضوح أوي كدة؟

ربّت الرجل على كتفه:

-إنت شكلك طيب و أنا هخدمك، دي ميّار وشغالة هنا، بس هي نكدية عشان تبقى عارف وده اللي موقف سوقها، بس هي بت غلبانة وطيبة استنى أندههالك.

نادى زميله في البار ومال على أذنه فاتجه زميله إلى ميّار وتكلم معها فقامت معه حاملةً حقيبة يدها الصغيرة، وعندما وقفت ووقعت عينا أيمن عليها أمسك الكأس وجرعه مرةً واحدة، فلقد انبهر بجمالها، فهي سوداء الشعر ناعمته، ترتدي تنورةً قصيرةً للغاية و بادي يُظهر نصف صدرها، وتمشي كغزالٍ ابيضٍ بكعبها العالي الذي يضفي على شكلها جمالاً و أنوثةً تجذبك، و لكن أكثر ما أبهره و أدهشه كان أنها تشبهها، نعم إنها تشبهها كثيراً! حاول أن يُرجع ذلك إلى أنه شرب وسكر، ولكن الشبه واضحٌ بينهما، هل مشاعره مضربةٌ لتلك الدرجة! أن يرى ملامح أمه في تلك العاهرة!

حاول أن ينفض ذلك التفكير من رأسه ولكنه سيطر عليه، فهز رأسه وكأنه يُسقط تلك المشاعر من على رأسه، وأخرجه من تفكيره صوتها وهي تقول:

-هاي أنا ميّار أو ميمي .

قالتها بنعومةٍ وبإثارة متمرّسةٍ في ذلك العمل، تحاشى النظر إليها كي لا يفسد ذكرى أمه بمقارنتها ولو حتى بالشكل مع تلك المرأة و لكنها أبت أن يبعد عنها فهو صيدٌ بالنسبه لها، فمن الواضح أنه وجهٌ جديدٌ و لا يعرف سمعتها في المكان التي جعلت كل الزبائن المعتادين على المحل يبتعدون عنها و يتحاشوها، فهم غير معتادين على المشاكل

والنكد والعبوس، وهي لا تستطيع أن تكون كل الوقت مبتسمةً لما تحمله من مشاكل أمها و إخوتها و زوج امها النذل و....و...... شعرت أنها في فيلمٍ عربيٍّ من أفلام المقاولات، فنفضت ذلك من تفكيرها وحاولت أن تركّز على ذلك الشاب الذي يظهر من شكله أنه "ابن ناس ومتريّش" فحاولت أن تغريه ثانيةً فمدّت يدها إلى صدره:

– إنت مقولتليش إسمك ايه؟

أجابها بصوتٍ مبحوح:

– أيمن، أيمن السويفي.

قالت مفكرةً:

– السويفي؟ أنا سمعت الإسم ده قبل كدة ..

و أشارت بيدها بلامبالاة:

– مش مهم، تحب نقضي الليلة هنا و الا عندك مكان نروحه؟

لا عندي، تعالي معايا.

سحبها من يدها بسرعة، لم يكن يعلم لماذا و إلى أين يريد أن يأخذها، ولكنه شعر أنه يريد أن يرتمي في حضنها، فركبا تاكسياً وقال للسائق:

– أكتوبر يا اسطى.

فقالت له في حيرة:

– مالك كدة؟ طب نتكلم الأول ونتفق و أعرف رايحة على فين.

– متخافيش اللي إنتي عايزاه هديهولك من غير متكلم .

أخرجت من حقيبتها مرآةً صغيرةً وقلم كحل ومصمصت شفتيها قائلةً:

– ماشي يا سيدي.

اختلس السائق النظر إليها بين الحين والاخر فقالت بعصبية:

– ماتبص قدامك يا اسطى فيه حاجة؟

تململ السائق في مكانه وقال بحرج:

– لا أبداً أنا مركّز في طريقي أهو.

لم يبد على أيمن أنه سمعهما لأنه كان شارداً في ذكرى بعيدة ظلّت تتردد على رأسه، حاول أن يخرجها من رأسه ولم يستطع فكانت تسيطر عليه وتجذبه نحو ذكرياتٍ أسوأ و أسوأ..

***

رن هاتف منزل المقدّم حسام شوكت فحاول أن لا يعيره اهتماماً و لكنه لم يستطع تحت إلحاح المتصل فقام من سريره متجهاً إلى غرفة المعيشه ليتكلم منها حتى لا تستيقظ زوجته:

– ألو مين؟

أجابه صوت أحد أفراد فريقه في العمل يقول:

– أنا يوسف يا حسام باشا.

-يوسف إنت ليلتك سودة، إنت عارف الساعة كام؟

-عارف يا باشا، بس سيادتك قلت لو فيه أي تطورات نقولك.

فرك حسام عينيه وجذب كرسيّاً من الصالون ليجلس عليه:

-عارف لو طلعت مش أخبار مهمة! هنفيك في السلّوم و الا شلايب وحلاتين..

-إحم إحم، إسمها حلايب وشلاتين سعادتك.

-ماشي يا قور!

- سعادتك الراجل المكلف بمراقبه دكتورة إيمان لقاها نازلة من ساعتين من البيت ومعاها ملف في إيدها ونزلت بتجري فمشي وراها لحد ما وصلت لمكتب فريد منصور المحامي.

قاطعه حسام مستغرباً

-و دي بتعمل إيه عند فريد منصور؟ ده حوت ومش بياخد إلا الحيتان اللي زيه!

- ماهو ده اللي شدني برضه سعادتك فقلت للراجل بتاعنا يفضل يراقبها ويستناها لحد مانزلت من مكتب فريد منصور وقعدت في عربيتها ربع ساعة، و بعدين اتحركت لحد مركب "نايل كريستال" اللي على كورنيش المعادي وقعدت على طرابيزة مستنية حد لغاية ماجالها واحد ، تخيل مين؟

رد حسام بنفاد صبر:

-مين يا كرومبو؟

أفلتت ضحكةٌ من يوسف فابتسم حسام قائلاً:

-يالله يا ابني ورايا حلم عايز أكمله!

-عبدالله السويفي سعادتك.

لم يبد على حسام أنه اندهش عكس توقعات يوسف ولكنه فهم حين قال حسام:

-يبقى كدة شكّي صح، فيه إن في الموضوع.

-هما لسه موجودين في النايل كريستال؟

-أيوة يا فندم.

-طيب خلي الراجل بتاعنا وراها برده و ابعت حد تاني ورا الحاج عبدالله وبلغني بالتطورات، و أنا صاحي مستنيك.

أغلق حسام الهاتف ودخل إلى المطبخ يبحث عن كنكة البن ليصنع قهوةً تساعده على التفكير، فوجئ بيدٍ ضخمةٍ تطوّقه من الخلف ولكنه أدرك بسرعةٍ أنها يد زوجته التي بفعل الزمن تحولت لما هي عليه الآن، فلقد تزوجها نحيفةً ذات سيقانٍ لامعةٍ مبهرة، خصرها كانت يداه تطوقه بسهولة، عيونها كانت مستديرةً كعيون البقر، أما الآن فلم تحتفظ إلا بعيون البقر، وزاد عليه جسم البقر أيضاً، فيدها أصبحت بحجم جذع شجرةٍ من شجر غابات السافانا، وخصرها لو استطالت يداه للضعف لن يستطيع أن يطوقه بهم، نظر اليها بحب فهو رغم كل ذلك يحبها ولا ينسى لها مواقف كثيرة فعلتها معه، أينعم

يحبها حبّاً أخويّاً بلا مشاعرٍ عاطفية و لا جنس، ولكنه يحبها ويحب طيبتها وخوفها عليه، ربما لأنها تذكره بأمه الله يرحمها.

–ـ إيه يا حبيبتي إيه اللي صحاكي

مالت عليه في تغنج:

– مش عارفة أنام و إنت مش جنبي يا حبيبي.

أزاح يدها من على خصره:

– يبقي مش هتنامي يا روحي عشان أنا هسهر على شغل.

دبدبت برجليها على الأرض في دلعٍ شعر معها حسام بأن العمارة هتز من دبدبتها وقالت:

– هو كل يوم كدة شغل شغل؟

ربّت على كتفها:

– أعمل إيه بس يا حبيبتي ما أنا لازم أهتم بشغلي، مش انتي عايزاني أبقى أحسن واحد في الدنيا؟ خلاص سيبيني أشتغل.

– طيب حاضر، تحب أعملك حاجة؟

– لا أدخلي انتي نامي، أنا خلاص هعمل القهوة و أقعد أشتغل و أجيلك حالاً.

طبعت قبلةً على جبينه قائلةً:

– طيب أنا هدخل أستناك في الأوضة و مش هنام إلا لما تيجي.

-ماشي يا قلبي يالله أنا مش هتاخر.

مرّت دقائق إلى أن انتهى من عمل القهوة فصبّها في "كوبايته" المفضلة، فهو ليس من عشّاق الفناجين، وعندما همّ بإخراج مجموعة ورقٍ من درج مكتبه سمع شخيراً من غرفة نومه فابتسم ابتسامةً خفيفة:

-هو ده اللي مش هتنامي يا موكوسة ههههه، الله يخرب بيتك.

أمسك القلم وخطّ عليه دوائر بكل افراد عائلة السويفي، ووضع نسب مئويةً لاحتمالية تورّط أحدهم في مقتل محمود السويفي، و استغرق في التفكير، فحمدي هو المتهم الأول بالنسبة له، شخصيته وكلامه وطريقته ينبآنه بأنه سيكون ضلعاً مهماً جداً في تلك القضية، كما أن هدى تحمل لمحمود كرهاً بسبب عدم سماحه له بزواجها، ولكنها سامحت حمدي فبالتالي تسامح محمود، ولكن لماذا اتفقت مع حمدي على قتله؟ هل هي لحظة عصبيةٍ أم سبق إصرارٍ و ترصّد؟

حاول أن يخرج خارج الدائرة التقليدية و أن يفهم سرّ شيك الدكتورة إيمان وسبب مقابلتها لفريد منصور وبعده عبدالله السويفي و...

لمعت عيناه بفكرةٍ شعر معها أنه وصل لشيءٍ هام، فالتقط سماعة التليفون وطلب يوسف و أعطى له أوامر لم يعرف أنها ستغير مجرى التحقيقات.

ستغيرها للغاية.

تململ مروان في مقعده في مكتبه بالشركة والتفكير يكاد يعصف به، فالشركة التي أضاع عمره في بنائها على وشك الانهيار والتفكك، فبعد موت شريكه سيقوم ابنه بعمل إعلان وراثةٍ وتصفية الشركة لتحويلها لأموال، تذكر محمود فقال:

- غبي !

وخبط بقبضته على سطح مكتبه الزجاجي و أكمل:

-لو كان بس.....

قاطعه صوت طرقاتٍ على الباب و أتاه صوت حاتم سكرتيره قائلاً:

-مروان باشا، حمدي بيه مستني سعادتك برة.

-خليه يدخل.

دلف حمدي إلى المكتب قبل أن يكمل مروان جملته:

-قاعد ليه في مكتبك لحد دلوقت؟

أشار مروان إلى حاتم بالانصراف، و انتظر إلى أن أغلق وراءه الباب فقال لحمدي:

-مستنيك تقلي عملت إيه.

خلع حمدي الجاكيت و وضعه على الأريكة التي بجانبه:

-و لا أي حاجه أنا روحت لحد باب أوضته وخبطت عليه، وبعدين رجعت في كلامي ومشيت.

-ليه بس ما إنت لازم تكلمه.

أشاح حمدي بوجهه غاضباً:

-كرامتي يا مروان! أنا مقدرتش أنزل لمستوى الحيوان ده و أتحايل عليه!

خبط مروان بيده على المكتب وقام من كرسيه يدور في المكتب وبعصبيةٍ قال:

-يعني إيه كرامتك؟ شهادة السواق ده هتدخلك السجن، ويمكن توصل لمشنقة وانت تقولي كرامتي! بص إفهم كويس إن انت مش لوحدك في الموضوع ده، أنا لو انت اتسجنت ولا جرالك حاجة الشركة بتاعتي هتتصفى! أنا معتمد عليك إنت إنك تكملها معايا وتقنع أهلك انهم مايفوضوهاش زي ماكان هيعمل محمود؛ أقولك.. أنا هروح لمصطفى ده وهكلمه، و زي ماتيجي.

و ارتدى جاكيت البدلة واشار إلى حمدي:

-استناني انت هنا عشان لازم الموضوع ده يخلص النهاردة قبل ما الصبح يطلع.

تركه واتجه إلى قصر السويفي ليقابل مصطفى ليقنعه أن لا يدلي بشهادته في محضرٍ رسميّ، لعل ذلك الخيط الضعف يحافظ على الشركة.

***

توقف ذلك التاكسي أمام قصر السويفي ونظر السائق إلى العداد وهمّ بأن يقول السعر لأيمن ولكن أيمن عاجله بأن أخرج له ورقةً من فئة المئتين جنيه وأعطاها له:

– خلي الباقي عشانك.

نظر السائق إليه بامتنانٍ وفرح:

– شكراً ياباشا ربنا يجعلها ليلة سعيدة يارب.

رفع له أيمن يده بالتحية وامسك ميّار من يدها التي انتزعت يدها مسرعةً محدّقةً في ذلك القصر قائلة:

– لا ده بجد ؟ إنت ساكن هنا؟!

لم تنتظر منه إجابةً فأردفت:

– ده إيه اليوم اللي باين من آخره ده ؟

مشيا بجانب بعض، وجد البوابة مفتوحةً فمن الواضح أن البواب ذهب ليشتري شيئاً من مكانٍ قريب، لم يكن هناك أحدٌ مستيقظ، فصعدا سويا إلى غرفته، أغلق الباب عليهما.

تفحصت عينا ميّار المكان باستغرابٍ و قالت:

– دي أوضتك؟

أومأ برأسه إيجاباً، وضعت يديها على وجنتيه و أدنت وجهها من وجهه و أغمضت عينيها وطبعت قبلةً على شفتيه اللتان لم تتحركا من مكانهما، ففتحت عينيها لتنظر إليه فوجدته واجماً كمن لايشعر بمن حوله فقالت:

– إنت حكايتك إيه مالك؟

أفاق من شروده وقال:

– لا مفيش سرحت بس، قوليلي تحبي تاكلي حاجة أو تشربي حاجة ؟

هزّت رأسها نافيةً:

– لا، لو عندك بس آي دي أو براندي أو فودكا، أي حاجة من دي يعني.

– لا للأسف معنديش.

دفعته ليقع على السرير و ألقت نفسها فوقه على ركبتيها قائلةً:

– أنا هعملك ديسكاونت بس تفضل معايا كل ليلة، عشان أنا بقرف من كتر الرجالة، خليني معاك إنت بس وهخليك مبسوط.

وغمزت بعينيها مستطردةً:

– ومين عارف مش يمكن تحبني؟

– تعرفي إنك شبهها أوي!

نطقها أيمن وهو يزيحها من فوقه، ردّت متسائلةً:

– شبه مين؟

فتح الثلاجة الموجودة بغرفته و التقط منها كانزين، ألقى إليها واحداً وفتح الآخر:

– شبه أمي الله يرحمها.

– عشان كدة جبتني هنا؟

-مش عارف.

-شبه مامتك شبه باباك، مش مشكلة أنا هعيشك أحلى يوم في عمرك النهاردة.

احتضنته من الخلف فلانت ملامحه، فاستدار إليها وطبع قبلةً ساخنةً على شفتيها، لم يكن يتصور أنه قادرٌ على التقبيل بهذا الشكل، لم يدري كم استغرقت تلك القبلة من الوقت ولكنه استفاق على طرق الباب، فأشار إليها بالجلوس وفتح الباب فوجد جده مازال بملابس الخروج فقال:

-إيه يا جدي إنت كنت برة؟

-آه يا حبيبي كنت برّة ولقيت نور أوضتك منوّر فقلت يبقي إنت جيت من برّة، إيه فكيت شوية؟

حاول أيمن أن يجذب جدّه بعيداً عن غرفته:

-آه الحمد لله يا جدي، و إنت كنت فين بقى إنت كمان؟

نظر إليه الحاج عبدالله في عينيه قائلاً:

-مشوار كان لازم أعمله.

سمع صوت شيءٍ وقع على الأرض في غرفه أيمن فاتجه صوبها قائلاً

:

-إيه اللي وقع ده؟

أمسكه أيمن من يده:

–تلاقي الهوا وقّع حاجه يا جدي عادي، هبقى أدخل أشوف.

لاحظ الحاج أن أيمن يحاول أن يبعده عن الغرفة لسببٍ ما ولكنه لم يرد أن يظهر لأيمن ذلك ليجعله يحافظ على خصوصياته رغم الشك الذي يستعر في أعماقه.

أومأ الحاج برأسه وقال:

–ماشي يا حبيبي ياالله تصبح على خير.

دخل أيمن غرفته فوجد ميّار آيةً من الجمال كفينوس، فلقد خلعت ملابسها و ارتدت قميصاً شفافاً تتلألأ من تحته ساقان كانا منذ برهةٍ عرايا ولكنهما تحت هذا القميص لهم شكل آخر، لربما هي نظرية الممنوع مرغوب، ربما ..

لم تكن ترتدي إلا قطعتين من القماش الأحمر تحت ذلك القميص الوردي، كان جسدها كما يرسم بالضبط في اللوحات، فخصرها تشعر أنه مفصلٌ لتلك السيقان الرائعة، وصدرها موزونٌ كبيت شعرٍ في قصيدةٍ بالفصحى، فهو ليس بكبير على جسدها وليس بصغير، ولكنه أيضاً مناسبٌ تماماً لباقي الجسد، حتى نظرة عينيها بدت مغرية فلم يستطع أن يمنع نفسه من اقتحام ذلك الحصن، ولم يُعر اهتماماً لمخاوفه القديمه بأنه في وضع اختبار، و أنه لم يمرّ بتلك التجربة من قبل؛ انهال عليها بالتقبيل و أسرع في دكّ حصونها وهي تساعده بحرفيةٍ إلى أن غلبه التعب، فأخرج سيجارةً من حقيبتها، سيجارةً لم يضع مثلها في فمه من قبل، و الغريب أنه لم يشعر أنها غريبةٌ عنه بل شعر أنه متمرسٌ في شربها، هو نفسه استغرب ذلك.

جلست ميّار على السرير و أزاحت خصلات شعرها عن وجهها ووضعت راس أيمن على فخذيها ومسحت على رأسه:

- مالك بقى فيك إيه؟ حاسة إنك شايل هموم الدنيا.

شعر معها بحنانٍ حقيقي لا حنان غانيةٍ جلّ ما تريده النقود فقط، فاعتدل في جلسته و أخذها بين ذراعيه و انطلق يحكي لها كل ما بصدره، وكلّما توغل في الحكايات يشعر بالراحة لأن هناك من يشاركه تلك الأسرار.

أما ميّار فعندما سمعت أول كلامه ظنته طرفة، ولكن ملامح الجديّة المرتسمة على وجهه وصوته جعل عينيها تتسع لما يقصّه و أبعدت نفسها عنه قائلةً:

- و إنت بتحكيلي الكلام ده ليه؟

تحرك من السرير وذهب إلى دولابه، ورجع إليها ممسكاً كمانجته ليُسمعها مقطوعةً محبّبةً إليه، اقترب منها للغاية حتى دنا من وجهها و أصبح يسمع أنفاسها التي لا يعلم هل هي خائفةٌ أم مضطربة، ولكنه حاول تهدئتها فبدأ بالعزف وظلّ يعزف ويعزف إلى أن غلبه النعاس في مكانه، فترك جسده يستريح على سريره وغطّ في نومٍ عميق.

***

توقّفت سيارة مروان الدويك أمام قصر السويفي مصدرةً صريراً مزعجاً، زاد من إزعاجه افتقار المنطقة لأيّ مظهرٍ من مظاهر الحياة، وعندما همّ مروان أن يعنّف سائقه تذكر أن المنطقه ليس بها جيرانٌ أو

سكانٌ ليشتكوا أو ليرمقه أحدهم بنظرةٍ لا يستسيغها، فاكتفى بلفت نظره قائلاً:

- إبقى خد بالك يا عبده!

أومأ السائق برأسه إيجاباً:

- حاضر يا فندم أنا آسف.

التقط مروان كوفيته من الكرسي الخلفي و أغلق باب السيارة :

- إستناني، أنا مش هتأخر عليك.

وترك السائق دون أن ينتظر منه إجابة، توجه ناحيه بوابة القصر الذي أصبح منذ الأمس حين كان مع محمود، مصدراً من مصادر بعث الكآبة في أوصاله، و زاد عليه الآن بعد موت محمود أنه أصبح يبعث الرعب فيه، فهو إلى الآن لم يصدق موت محمود، و يظن في بعض الأحيان أنها ستكون كذبةً أو ما شابه، و لكنه نفض ذلك التفكير فور وصوله إلى بوابة القصر فرنّ جرس الباب.

مرّت ثواني، فتح البواب بعدها الباب وهو يفرك عينيه:

- مروان بيه، أهلاً بيك، الجماعة كلهم نايمين أصحيهملك؟

نظر إليه مروان بقرف و ابتعد عنه مسافةً كافية:

- لا متصحيهمش، أنا جاي لمصطفى هو موجود؟

- موجود بس حضرتك عايزه ليه؟

- و إنت مالك! كان ليه عندي شهرية ونسيت أبعتهاله إوعى من سكتي.

أبعده عن طريقه و استمر في المشي إلى أن وصل إلى غرفة مصطفى السواق، فطرق الباب وفتح له عم مصطفى الباب و اندهش من وجوده على باب غرفته، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول له وهو يشير بيده للداخل:

-إتفضل يا مروان باشا أهلاً بحضرتك، ده احنا زارنا النبي!

و عبارات ترحيبٍ من هذا القبيل، و رغم كلّ عبارات الترحيب تلك إلا أن ملامح الدهشة لم تنمحي من على وجه مصطفى، مما جعل مروان يبدأ حديثه:

-أنا عارف إنك مستغرب إني جايلك يا عم مصطفى، بس الموضوع اللي جايلك عشانه مهم جداً، و يهمني جداً، و لو فتّحت دماغك معايا هيكون وش السعد عليك.

حاول مصطفى أن يفهم شيئاً؛ فما الذي يجمعه بمروان بيه غير أشياء كان يوصلها محمود بيه لمروان والعكس، لم يُمهله مروان وقتاً للتفكير والتنبؤ فاستطرد قائلاً:

-إنت سمعت حمدي بيه وهدى هانم وهما بيتكلموا في كلام فاضي في وقت نرفزة، و أكيد إنت فاهم إن أي مشاكل عائلية مهما كبرت بينهم متوصّلش الأمور للقتل أو مجرد أذية واحد منهم للتاني، هو أنا اللي هقولك يا عم مصطفى ده انت متربي معاهم!

أطرق مصطفى برأسه في الأرض وقال بصوتٍ مبحوح:

-والله يا بيه أنا مكنتش أقصد حاجة، أنا الظابط كان بيسألني خفت وقلت اللي أعرفه، و معرفش إن ده هيضايق حد مني.

ربّت مروان على يده قائلاً:

-أنا عارف يا عم مصطفى، وعشان كدة أنا جيت أتكلم معاك وعارف إنك هتفهمني.

-إتفضل يا بيه.

-طبعاً إنت كنت بتحب محمود بيه الله يرحمه.

-أكيد يا بيه.

ورفع يده إلى السماء:

-ربنا يرحمه ويدخله جنته الواسعة.

-لو إنت فعلاً بتحبه يبقى يهمك إننا نِعتر في اللي قتله صح؟

-صح يابيه ربنا....

قاطعه مروان و هو يشعر أنه قارب على الوصول إلى هدفه:

-طب إنت تشكّ إن حمدي بيه ممكن يقتل أخوه؟

-لا طبعاً.

شعر مروان أنه وصل إلى هدفه في تلك اللحظة فعاجله:

-بصّ يا عم مصطفى، رجالة المباحث بيبقوا عايزين يقفلوا قضاياهم و خلاص، فهما عشان القضية متاخدش معاهم كتير

هيشوفوا أي حد يلبسوهاله، و إنت بشهادتك ضد حمدي بيه وهدى هانم هتثبت التهمة عليهم لأنهم المشكوك فيهم الوحيدين، ورجالة المباحث ماهيصدقوا إنك تشهد هيقوموا ملفقين بقية الدلايل ويقفلوا القضية.

فغر فاه مصطفى وقال مدهوشاً:

-يا نهار زي بعضه! ده كله من شهادتي أنا؟

-آه، تخيّل بقى إنك ممكن تدمر أسرة بحالها! وعلى إيه؟ حاجة أصلاً مش حقيقية لأن مفيش أخ هيقتل أخوه، و كمان إنت هتبقى خنت العيش والملح بتاعهم، وساعتها مش هيأمنولك في أي حاجة و احتمال يرفدوك.

ودار حول مصطفى وهمس في أذنه:

-ده غير إنك لو مشهدتش ضدهم هيدوك مكافأة كويسة ممكن بعدها متشتغلش تاني عند حد وتعمل مشروع لنفسك.

لمعت عينا مصطفى وظهر فيهما الطمع وقال:

-مشروع؟

-آه مشروع..مشروعين، زي ماتحب، و ممكن تحطهم في بنك وتعيش من ريعهم، أصل ١٠٠ألف دول يطلّعوا كل شهر مبلغ كويس برضه.

اتسعت عينا مصطفى حتى كادتا أن تقفزا من محجريهما وقال بذهول:

– ١٠٠ ألف جنيه ؟

–و كمان ممكن تاخدهم وتكمل شغل عندهم لو حبيت.

– و المطلوب مني إيه؟

–إنك لما يستدعوك للشهادة بكرة و الا بعده تغيّر أقوالك وتقول إنك مسمعتش حاجة، مهما ضغطوا عليك خليك مصر على اقوالك لأنهم مسجلوش أقوالك في أي محاضر لسه، و لو عملت كدة هتريح العيلة اللي لحم كتافك من خيرهم، وكمان هتكسب قرشين حلوين.

أدار مصطفى الكلام في رأسه وحاول إخماد ضميره الذي يصرّ على ألا يستمع لصوت عقله، ولكنه فكر في أنه ليس طرفاً في هذا الصراع الذي لن يكسب شيئاً لو دخل فيه، بل سيخسر الكثير، سيخسر وظيفته وشهريته وبقشيشه، ويرجع مرةً أخرى للبلد ولا يجد من يصرف عليه ولا على زوجته و أولاده، لذلك فقد حسم قراره بقوله:

–خلاص يا مروان بيه أنا موافق، بس هاخد الفلوس إمتى؟ إنت عارف المصاريف والعيد داخل وعايز أبعت مصاريف لأم العيال.

خرج مروان من غرفة مصطفى بعد أن طمأنه و وعده أن النقود ستكون في غرفته في الصباح قبل أن يستدعوه للشهادة، و ما أن جلس في سيارته حتى طلب رقم حمدي و أتاه صوت حمدي قلقاً:

–إيه عملت إيه؟ أنا قاعد على أعصابي!

–متقلقش كله بقى تمام.

نطقها بثقةٍ جعلت حمدي لا يزيد كلمةً أخرى بعد هذه الطمانة التي وصلته من الجملة، حينئذٍ شعر بأنه حرٌّ طليقٌ لا تشوبه شائبة، ولا يستطيع حسام شوكت أن يوقع به بعد هذا التقدم الواضح، و بعد ما فعله مروان مع مصطفى ولذلك فهو الآن صفحةٌ بيضاء.

بل ناصعه البياض.

***

استيقظ أيمن من نومه بانتفاضةٍ عنيفةٍ بسبب ذلك الكابوس الذي رأى فيه .. .... لم يرد أن يتذكره فهو كابوسٌ مخيف!

نظر حوله فوجد نفسه نائماً على الأريكة المجاورة لسريره، حاول أن يتذكر ما حدث بالأمس فلم يتذكر، نظر في ساعته فوجدها الخامسه فجراً، قاوم الصداع الذي يزلزل رأسه، وقف أمام النافذه يرى آخر ضوءٍ من أضواء القمر يفسح المجال للشمس لتنير الأرض وتدفئها بلهيبها المحبب في ذلك الوقت من السنة؛ حاول أن يسترجع ماحدث بالأمس .. نعم لقد تذكر ميّار، أين هي ميّار؟ نظر إلى السرير فلم يجد أي أثرٍ لها و لا لملابسها، حتى منفضة السجائر كانت خالية، هل من الممكن أن تكون التخيلات عادت إليه مرةً أخرى؟ ساءه ذلك الشعور، فهو لا يريد أن يعود كما كان من قبل! أغلق النافذة بعنفٍ و أخذ يدور في الغرفة منقّباً عن أي أثرٍ لها فلم يجد، إذاً هي تخيلات! لم يكن يتصور أن تأتيه بهذه السرعة مرّةً أخرى، فلقد كان يعاني منها لفترةٍ طويلة، ولكن طبيبته المعالجة طمأنته بأنه شفي منها؛ حاول أن يتذكر جيداً أي شيءٍ آخر مثل: أين قابلها ومتى

بالضبط، ولكنه لا يتذكر إلا مشاهد متفرقةً في تاكسي، ثم في الغرفة معاً ثم على السرير ...

لا يمكن هلاوس أن تجعله يتذكر كل هذه التفاصيل!

شعر بأن لهيباً من النار يضرب رأسه فحاول تهدئة نفسه و أمسك تليفونه المحمول ليطلب رقماً هو الوحيد المسجل عليه، و عندما ردّ محدثه في التلفون انطلق يقصّ عليه قصة هلاوس ميّار تلك فأجابه محدثه بلهفة:

-لا إحنا كدة لازم نتقابل ضروري، إيه رأيك بكرة نتقابل في مركز الإبداع في الأوبرا الساعة ٤، هستناك متتأخرش.

أغلق التليفون و انكمش في مجلسه وهو يرتعش من هول ما سيحدث غداً في الرابعه عصراً.

***

مع أول نسمات الصباح استيقظ المقدم حسام من نومه الذي غطّ فيه بالأمس في مكتبه، و قام و جسده كله يئنّ من التعب، دخل إلى غرفة نومه فوجد الفيل مازال نائماً فتسحّب على أطراف أصابعه ليسحب ملابسه من على الشمّاعة خوفاً من أن تصحو زوجته و تجبره على تقبيلها برائحة فمها المليئة بالبصل والثوم من أثر طبخ الأمس، وخوفاً من لائحة طلبات اليوم التي لم تكفّ يوماً عن طلبها، و هو لم يكفّ عن عدم الإتيان بها يوماً؛ غريبٌ الإنسان، تذكّر كمّ التعب والمعاناة التي عاناها في سبيل الفوز بزوجته، وهي أيضاً تمسكت به

رغم ظروفه حينذاك، و عاشا مع بعضهما أياماً جميلة وقصة حبٍّ ملتهبةٍ استمرت لمدة سنتين أو ثلاثة على أقصى تقدير، و رغم عدم وجود أبناء ولكن الحياة تحوّلت لروتينٍ باهتٍ أصعب من روتين الشهر العقاري في آخر السنة المالية.

تنهد تنهيدةً حارّةً وهو يتذكر أيام الخطوبة، و أول أيام الزواج، وكيف كانت زوجته خجلةً والحياء يكسوها من شعر رأسها إلى أخمص قدميها، أما الآن فهي تطلب منه حقوقها الزوجية كصولٍ بأمرٍ عسكريٍّ بتكديره و العسكري ماعليه إلا الطاعة، و هو كذلك يجب أن يطيع حتى لا يتحول إلى زوجٍ عاجزٍ في كل جلسات النميمة لروّاد النادي، و روّاد مول العرب، و مول دايموند، وكل تجمّعات أكتوبر وأحيائها، فما يميز زوجته أنها بمثابةِ قناةٍ فضائيةٍ متحرّكة، تستطيع أن تنشر خبراً في دقائق معدودة إلى كل سكان المنطقة، فهي ترتبط بدائرة معارف كبيرةٍ جداً كونتها من سنين خدمته في المدينة.

انتهى من ذكرياته في نفس وقت انتهائه من ارتداء ملابسه، فعدّل هندامه ثم ربط الكرافت بعناية و همّ بالجلوس على الكرسي ليلبس الحذاء، و لكنه سمع صوت تنهيدةٍ من زوجته توحي بأنها في سبيلها للاستيقاظ، فمال على الأرض ملتقطاً حذائه، و أخذه وجرى على أطراف أصابعه كلاعب باليه مائيٍّ محترف حتى وصل إلى الباب، فأغلقه بخفة لصٍّ ذو خبرة، فلم يُصدر أيّ صوت، حتى صوت صريره المعتاد، و كأن القدر يساعده ليهرب بجلده، و ما أن انغلق الباب حتى زفر زفرةً حارّةً من القلب، ثم ركب الأسانسير و أكمل لبس حذائه

بداخله. قابله على باب الأسانسير في مدخل العمارة حسن البواب فألقى عليه التحية، ففرد قامته باستعلاء ظابط مباحثٍ قديم، و أومأ للبواب برأسه و أكمل سيره حتى وصل إلى سيارته التي يقودها بنفسه ولا يسمح لاحد بقيادها مثل باقي من في رتبته ووضعه، أخرج تليفونه المحمول فوجد الساعة مازالت السابعة و النصف، فقرّر أن ينتهز فرصة استيقاظه مبكراً و أن يشرب قهوته في "أون ذا رن" في ميدان "جهينة" فأدار مقود سيارته و عرج على "أون ذا رن" و ركن سيارته داخل محطة البنزين ودلف إلى المقهى الشهير، جلس على إحدى طاولاته ثم قام و أخذ قهوته المظبوطة ورشف رشفةً من كوب القهوة شعر أنها دبّت في أوصاله الحياة.

رنّ هاتف تليفونه المحمول برقم عبدالرحمن، مطّ شفتيه مستاءاً وضغط زر الإجابة، فجاءه صوت عبدالرحمن:

–صباح الفل على الباشا بتاعنا اللي منور أكتوبر كلها.

رد عليه حسام باستياء:

–صباح القرف، صباح العكننة!

–ليه بس كدة ياباشا ده! أنا جايبلك أخبار حلوة!

–أشكّ يا فقري، إنت عمرك ما بييجي من وراك أخبار حلوة أبداً، و بعدين إنت لازم تنطلي في أي وقت بستمتع بيه؟ قدري هعمل إيه بس! ربنا بيخلص مني ذنوب.

ضحك عبدالرحمن قائلاً:

–حبيبي يا باشا والله، بس صدقني جايبلك أخبار حلوة، أقولك ولا استناك لما تيجي.

–لأ وليه استناني! ما إنت خلاص نكّدت عليا و هكمل القهوة في العربية، أنا عشر دقايق و أكون عندك سلام.

أغلق تليفونه المحمول وركب سيارته و اتجه إلى القسم فقابله عبدالرحمن في مدخل القسم و أعطاه ملفّاً به بعض الأوراق ومشى إلى جانبه يتلقى التحية من الجميع وقال :

–طبعاً آخر أخبار وصلت لحضرتك مقابلة الدكتورة إيمان والحاج عبدالله.

– آه تمام إيه الجديد؟

–يوسف كلم حضرتك امبارح كتير زي ما سعادتك قلتله وإنت مردتش .

غمز بعينه قائلا :

–شكلك كنت نايم سعادتك.

نظر إليه حسام باشمئزاز :

–مش بقلك فقري! أنا عرفت أنا صاحي ليه جسمي مكسّر، يبني هو أنا جوز أمك! باصصلي حتى في النومة؟

ظهر الإحراج على وجه عبدالرحمن قائلاً:

–يا باشا أنا بهزر والله! هو فيه حاجه حصلت؟

-لا لحد دلوقت مفيش بس ربنا يستر !

ثم أخذ يقلّب في الأوراق التي بالملف إلى أن دلفا معاً إلى مكتبه فقال عبد الرحمن:

-سعادتك ده التقرير النهائي للمعمل الجنائي، إن مفيش بصمات إلا بصمات محمود و مروان و سيد و حمدي، لكن هدى و أيمن والحاج لأ .

أمسك حسام بالتقرير بين يديه و أعاد قراءته بالتفصيل مراتٍ عديدة إلى أن قارب على حفظه وقال:

-معنى كدة حاجة من اتنين، أما اللي ليهم بصمات هم المشتبه فيهم، أو إن القاتل من التانيين وهو ذكي و مسح بصماته، و في الحالتين يبقي برضه بنشُك فيهم كلهم، تاني..الموضوع محتاج فنجان قهوة تاني.

ضغط الجرس الموضوع على مكتبه فدخل إليه عسكري طلب منه فنجان قهوةٍ في كوباية و استدار بكرسيّه المتحرك إلى عبدالرحمن الجالس بجانبه :

-إيه تاني الجديد عندك؟

-الحاج عبدالله والدكتورة إيمان مقعدوش مع بعض أكتر من تلت ساعة بس قام بعدها الحاج متعصب وكان سايق عربيته بنفسه؛ أما الحاجة الغريبة بقى إن مروان الدويك راح زار قصر السويفي، بس تخيل كان رايح لمين؟

-أكيد لمصطفى السواق.

اندهش عبدالرحمن من الإجابه فلقد صدمته، وهو الذي بات يحلم بانبهار رئيسه و إثنائه عليه حينما يعلم بهذه المعلومة القيمة.

ضحك حسام على منظر عب دالرحمن وقام و أمسكه من رقبته قائلاً:

-تعالى شوف شكلك في المراية كدة!

لم يستطع عبدالرحمن منع الاندهاش من رسم ملامحه على وجهه :

-هو حد بلغ سيادتك؟

دخل العسكري بالقهوة، فالتقط حسام سيجارةً و أشعلها قائلاً:

-لا بس أنا كنت متوقع، لأن مروان حكالي إن حمدي اللي كان واقف معاه ضد محمود في موضوع بيع الشركة ده، فمش من مصلحه مروان إن حمدي يتسجن عشان يساعده في عدم بيع الشركة، وعشان يخرجه برّة الشبهات لازم يسكّت مصطفى .

رشف رشفةً من كوب القهوة وتبعه بنفث دخان سيجارته، وقام من مقعده و أمسك عبدالرحمن من كتفه :

-دورنا احنا بقى إننا نخوّف مصطفى عشان يفضل ثابت على موقفه بتاع الشهادة اللي شهدها لأنه أكيد هيكون مروان أغراه بحاجات كتير، ودي مهمتك إنت بقى يا عبدالرحمن.

رفع عبدالرحمن يده بالتحية العسكرية وخبط كعبيه ببعضهما :

- تمام يا فندم تحت أمرك، هنروح دلوقت.

- لأ نفطر الأول عشان لسه مفطرتش.

- ثواني سعادتك وأحضرلك فطار عجب.

تركه حسام يذهب ليجلب الإفطار وجلس هو يفكر في ترتيب أفكاره و أولوياته في تسيير هذا اليوم، فهو لايريد أن ينقضي هذا اليوم من دون أن يركز شكّه في شخصٍ واحدٍ معين حتى يقطع معه بقية أشواط اللعبة التي من الواضح أن خيوطها تتسع.

***

تسلّلت هدى من الباب الخلفي للقصر وهي مرتدية فستاناً أسوداً شبيه بالملبس الأسود الذي يلبسه الفلاحون، وتضع على رأسها طرحةً قطنيةً سوداء، وظلّت تنظر وراءها إلى أن ابتعدت عن القصر بمسافةٍ معقولة، فأشارت إلى تاكسي في الطريق فلم تجد بسهولةٍ تاكسي في هذه الساعة المبكرة من اليوم، بجانب ملابسها المثيرة للريبة، وظلّت تنتظر إلى أن وقف لها تاكسي يقوده رجلٌ عجوز فقالت له :

- طريق الواحات يا اسطي.

- فين في طريق الواحات يابنتي؟

- عند مدينه هرم سيتي ورا مدينة الإنتاج الاعلامي يا حاج.

كانت مشاعرها متضاربة، فهي حزينةٌ بالفعل على فراق أخيها، وفي نفس الوقت سعيدةٌ أنها ستقابل مدحت، فهو الإنسان الوحيد الذي تستريح معه.

ظلّت تتذكر تفاصيل آخر لقاءٍ بينهما ولم تلتفت إلى السيارة التي تتبعها إلى أن وصلت إلى مدينة هرم سيتي فأشارت للتاكسي أن يتوقف أمام إحدى البنايات المبنية على الطراز الصيني القصير، فكل البنايات هناك أو معظمها من دورين أرضي ودور علوي بدون أعمدة.

أخرجت تليفونها المحمول وطلبت مدحت الذي سرعان مافتح باب الشقة العلوية فور أن رآها من الشباك، فجرت على السلم ودخلت و أغلقت الباب وارتمت في أحضانه.

ظلّا في أحضان بعضهما قرابة العشر دقائق كاملين إلى أن انتزعها من حضنه قائلاً:

–وحشتيني أوي يا هدى!

–و إنت اكتر يا حبيبي مع إننا شايفين بعض إمبارح، إنت بقيت بتوحشني أوي.

أمسك يدها و أجلسها على الأريكة و دخل إلى المطبخ الأمريكاني المفتوح على الصالة رغم صغر مساحة الشقة :

–تشربي ليمون؟

–يا ريت، أحسن دمّي هربان مني، بس بسرعة عشان لازم أرجع البيت، إنت ليه كنت عايز تقابلني؟

صبّ الليمون في كوبين من الزجاج وتركهما على الطاولة وقال:

–أولاً عشان وحشتيني، ثانياً عشان أعرف آخر الأخبار، ثالثاً عشان نرتب للي جاي.

حكت له كل ماحدث منذ صباح اليوم السابق حتى وصلت إلى مافعله أبوها معها عندما سمع مكالمتها معه

–طب وكان رأيه إيه لما صارحتيه؟

–تخيل إنه كان باين إنه مش زعلان، بالعكس حسيته فرح، بس مكانش عايز يبينلي، أنا للحظة ندمت على اللي عملناه، لإن كنا ممكن نكون مع بعض من غير اللي عملناه ده.

أخذها بين ذراعيه ومسح على شعرها بحنان:

–يا حبيبتي كان لازم ده يحصل عشان نتجمع مع بعض، كان لازم مصيبة تهزّ الكل؛ يا هدى أنا بحبك وممكن أعمل أي حاجة عشانك.

نظرت في عينيه وطبعت قبلةً حارّةً على شفتيه وقالت :

–أنا عارفه إنه غصب عنك، بس كدة هفضل شايله ذنب أخويا اللي اتقتل و ابن أخويا اللي اتيتم يا مدحت.

ثم انهارت في البكاء ولم يستطع أن يُسكتها أبداً.

***

استيقظ سيد باكراً ودخل الحمام ليتوضأ ويصلي الصبح كما هي عادته، فرأى أيمن على السلم يهمّ بالنزول إلى بهو القصر وعيناه تدوران في محجريهما محمرّين من كثرة البكاء .

تعاطف سيد مع أيمن وناداه :

– أيمن تعالى يا حبيبي أنا عايزك.

نزل أيمن السلم في تؤدة، كان كمن لم ينم منذ أسبوعٍ متواصل، جلس بجانب عمه و كحّ في إعياء، فاحتضنه سيد بيديه وقال:

– أيمن يا حبيبي ده قضاء ربنا، متزعلش كدة أنا عارف إن الموضوع صعب عليك وعلينا والله كلنا، ربنا أعلم بس ربنا سبحانه وتعالى مبيعملش حاجة وحشة صدقني ده لحكمة عنده.

اعتدل أيمن و أخرج نفسه من حضن عمه وباغته:

– إنت بتحبني يا عمي؟

– أكيد يا حبيبي.

– طيب كنت بتتخانق إنت وبابا ليه؟

مطّ سيد شفتيه و أشاح بوجهه وهمّ بالنهوض ليصلي، ولكن أيمن مال على قدم سيد وقال:

– أبوس رجلك يا عمي ريحني!

اغرورقت عينا سيد بالدموع:

– إيه اللي بتعمله ده يا أيمن! ليه يا حبيبي كل ده؟

نهض أيمن و أدار وجهه من وجه عمه:

-إنت متعرفش أنا حالتي عاملة إزاي، أنا بشكّ في كل الناس، مش عارف أستثني حد، ده أنا شكيت في نفسي ومش عارف مفكرش، إنت متعرفش إحساس إنك تفقد أعز ناس عندك، و علا صوته فجأةً بعصبية:

-إنتو كلكو متّهمين عندي، شاكك فيكو، نفسي حد يقولي دليل يبرّأه عشان أطلّعه من حساباتي، عارف يعني إيه تشكّ في أهلك اللي عايشين معاك، اللي كنت راجعلهم بحب و واحشينك وكان نفسك تقضي وسطهم بقيه حياتك اللي كنت محروم منها ١١ سنة!

ربّت سيد على كتفيه وقال بصوتٍ واهن :

-والله يا أيمن حاسس بيك، و عارف إنك متدمر من جواك، بس صدقني و حياة كتاب ربنا أنا فعلاً بحبك وبحب أبوك الله يرحمه وبحبكو كلكو، و كفاية إني أقلك إني كنت بتخانق مع أبوك مش عشان مصلحة ليا لأ ده أنا كنت بزعقله عشان عمل حاجة غلط في حق نفسه وفي حق ......

قاطعه صوت الحاج عبدالله:

- كفاية يا سيد!

نزل الحاج الدرج مسرعاً و أشار إلى أيمن:

-فيه إيه يا أيمن إنت بتستجوب عمك ؟

-عايز أرتاح يا جدي! أنا مش عارف أنام ولا أصحى ولا أعيش خالص، إرحموني! يا ريتني ما جيت .

انهار واقعاً على الأرض، فأسرع الحاج و سيد يلتقطونه، و حمله سيد بمفرده وصعد به السلم إلى حجرته، و أسرع الحاج يتصل بدكتور العائلة وعيناه تذرفان الدموع ولا يستطيع أن يوقفها.

***

رنّ هاتف عبدالرحمن وهو جالسٌ بجانب المقدم حسام يفطران سوياً فنظر بحرجٍ إلى حسام قائلاً :

-لا مؤاخذة ياباشا!

-إيه؟ المزّة و الا إيه؟

-مزّة إيه يا باشا، دي المراقبة اللي على قصر السويفي.

ترك حسام الطعام من يده و أخذ التليفون من يد عبدالرحمن وضغط زر الإجابة وعندما سمع صوت محدثه يقول:

-أيوه يا عبدالرحمن بيه.

-معاك المقدم حسام شوكت إبدأ الإشارة.

توتّر صوت محدثه قائلاً :

-تمام سعادتك ياباشا، سيادتك أنا مشيت ورا واحدة خرجت من القصر بلبس شبه لبس الخدامات وسبت زميل ليا يكمل مراقبة ولما فضلت ورا الست دي راحت لحد هرم سيتي، ولما وصلت قلعت

الطرحة ولقيتها هدى هانم السويفي، طلعت الدور التاني و واحد استقبلها ولسه قاعدين لحد دلوقت.

انفعل حسام من سرعة الأحداث التي لا تدعه يلتقط أنفاسه فقال:

– طيب خليك مكانك وبلّغني بأي تطورات تحصل

و أغلق الهاتف دون أن ينتظر ردّاً كالعادة و أمسك طبنجته الميري المعلّقة على الحائط، و أمسك حسام من كتفه :

– يالله بينا تعالى معايا إحتمال أحتاجك.

– هو فيه إيه يا باشا طب والفطار؟

شتمه حسام شتيمةً من نوعيه "التيييييت" قائلاً:

– يالله يا .....

اندفع عبدالرحمن وراءه وركبا سيارة حسام الخاصة، ولم يستهلك الطريق اكثر من ٨ دقائق بسرعة حسام، التي من جنونها جعلت عبدالرحمن يتمسك في مقعده كطفلٍ لم يتعدّى العاشرة.

وصلا إلى المكان المذكور ووجدا رجلهما على مقربةٍ من الشقّة فأشار لهما إلى مكان الشقة بعد أن أدّى التحيّة العسكرية.

اندفع حسام مسرعاً بلهفة و طرق الباب بعنف، فأجابه مدحت من الداخل :

– مين؟

- إفتح مباحث.

فتح مدحت الباب مذعوراً :

- فيه إيه ياباشا أنا راجل غلبان وعلى قدّ حالي أنا عملت إيه.

أزاحه حسام من أمامه وترك عبدالرحمن يتولى أمره و أسرع هو إلى غرفة النوم، فوجد هدى تحاول أن ترتدي الطرحة لتخفي بها ما يمكن أن تخفيه من ملامحها، و لكنه عاجلها بقوله:

ـــ آنسة هدى ؟ و الا نقول مدام بقى؟

- لو سمحت يا سيادة المقدم من غير تجريح.

- تجريح إيه بس يا هدى هانم!

خرج إلى الصالة فتبعته قائلةً :

- إنت فاهم غلط.

- يعني خارجة متسحّبة من القصر، وظابطك في أوضة نوم واحد، وتقوليلي فاهم غلط!

ثم نظر إلى مدحت وقال:

- ومين بقى حبيب القلب ده؟

و أشار إلى عبدالرحمن قائلاً :

- خد بطاقته وفيشهولي يا سيادة النقيب.

استوقفته هدى باشارةٍ من يدها قائلةً لحسام :

-مفيش داعي يا سيادة المقدم، ده مدحت خطيبي.

فوجئ حسام بحقٍّ هذه المرة، فلم يكن يتوقع أن يكون هذا الشخص موجوداً في حياة هدى لتلك اللحظة.

-و انتي بقي بتعملي إيه هنا معاه؟ آه كدة أنا فهمت.

ونهض ملوّحاً بيده في حركةٍ مسرحية:

-طبعاً بعد ما رفضه أهلك حاول يكوّن نفسه، و لما لقي السكة صعبة رجعلك تاني، أهو على الأقل يستفاد بفلوسك، و فضلتوا على علاقه طول السنين دي، لكن الطمع بقى عمى قلبه و أقنعك ان اللقمة اللي بيرموهالك كل شهر متكفيش، أقنعك إن لازم محمود يموت عشان تورثيه إنتي و إخواتك، وهينوبه من الحب جانب طبعاً وساعتها هيتقدملك بعد ماتديله قرشين حلوين، وهيوافقوا عشان بقى بني آدم محترم ومعاه فلوس، ده غير إن محمود اللي هو كان أكبر عقبة هيكون مات؛ فكرة عبقرية.

نظر في وجهيهما بتمعن:

-بس قولولي بقى، مين قتله؟ انتي يا هدى و الا سهلتي لمدحت الدخول وهو اللي قتله؟

انهارت هدى في البكاء ورمت جسدها على الأريكة، فأسرع مدحت يطبطب عليها:

-مفيش داعي نخبّي أكتر من كدة يا هدى، غلط أهون من غلط.

أدار وجهه ناحيه حسام وهو يحتضن هدى بيده وقال:

-بص ياباشا كل اللي حضرتك قلته ده مش حقيقي، و محصلش، إحنا مقتلناش محمود بيه ولا عملنا حاجة غلط غير حاجه واحدة بس ومستمرناش فيها كتير، إننا اتجوزنا عرفي وكنا بنتقابل هنا في الشقة، و لما عرفنا إن هدى بقت حامل رتبنا إننا نقول لأهلها، و زي ما تيجي لأننا مش هنتحمل إن الجنين اللي اتمنيناه من بعض يموت، خصوصاً و إننا مش عارفين ممكن ربنا يرزقنا بيه تاني و الا لأ، فقررنا إننا نفاتحهم، و زي ما كان أول واحد رفض هو محمود بيه، قررنا إننا نفاتحه أول واحد، لأنه لو اقتنع يبقي الباقي سهل.

بدت على حسام التركيز وبدا له أن مدحت يتكلم بصدقٍ عندما استطردت هدى بنهنهة:

-أنا قلت أستنى يوم مايبجي أيمن عشان هيكون موده حلو برجوع إبنه و ممكن ساعتها يوافق، فروحتله اليوم ده الصبح وكلّمته وهو اتنرفز عليه جداً و تعب مني، و لحد ماروحت أجيبله كوباية مية و رجعت و بقى كويس لقيته بيعيط، و قالي أنا إستأمنتك على نفسك وعلى بيتي، و إنتي دنستيه و إتجوزتي عرفي، يبقى إزاي هستأمنك على إبني إنك تربيه؟ و قالي نخلص بس من حفلة أيمن وبعدين لينا كلام تاني، و لما حسيت إن ممكن يكون سبب موته هو تغيير خططه في موضوع كتابة كل اللي يملكه لأيمن حسيت إن ده بسبب إنه فقد الثقة فيا، فشيلت همّ الموضوع ده وعشان كدة جيت لمدحت أفضفضله و أرمي همومي عليه، دي كل الحكاية.

بدا التاثر على وجه حسام فقال متردداً :

-طبعاً أنا معنديش دليل على اللي بتقولوه بس أنا هصدقكوا على مسؤليتي الشخصية، و أرجوكي يا هدى هانم، إنتي حد نضيف، فياريت تساعدينا عشان نوصل للي عمل فيكو كلكو كدة، و ياريت تشرفيني في مكتبي النهاردة بعد الضهر.

همهمت هدى ببعض الكلمات ثم أردفت:

-حاضر يا حسام بيه هجيلك ومتشكرة جداً.

تركهم حسام و أشار لرجل المراقبة أن ابتعد و إرجع لمكانك، ومن داخله شعر براحةٍ غريبةٍ لأنه أخرجَ إحدى قطع الشطرنج من حساباته، و بدأت كل شكوكه تتجه مرةً أخرى إلى حمدي، فالدائرة تضيق و لا يوجد إلا هو أمامه، و لكن قبل أن يركز عليه يجب أن يحلّ لغز الدكتورة إيمان أولاً.

نعم الدكتورة إيمان هي اللّغز القادم.

***

انهمك الحاج عبدالله في تدوين ملاحظاتٍ في أجندته الخاصة و بدا أنه في ملكوتٍ آخر بذلك الوجه الذي يحمله وهو منهمكٌ في الكتابة، لم يُخرجه من انهماكه و استغراقه في الكتابة غير صوت سيد وهو يخبره بقدوم المقدم حسام، فانتفض من مكانه سريعاً و أخفي الأجندة بعنايةٍ بين مجموعة الكتب على المكتب الموجود أمام السرير، و أسرع إلى الباب ففتح بالمفتاح و أدار مقبض الباب ليجد سيد في انتظاره

بالخارج، فأمسكه من يده و وقف مسنداً ظهره للحائط وقال بانفعال :

–تفتكر عايز إيه؟ عرف جديد؟

تعجب سيد من شكل أبيه و من انفعاله فربّت على كتفه:

–مالك يا حاج، إنت تعبان؟

مسح الحاج عبدالله عرقاً وهميّاً على جبينه و أشاح بوجهه و تحرك جهة السلم :

–مفيش يا سيد ... ده تقريباً من قلة النوم، تعالى نترله عشان منتاخرش عليه.

نزلا سوياً السلم فوجدا حسام يتمشى في ردهة القصر عاقداً يديه خلف ظهره، و ما أن سمع صوت خطواهما حتى انتبه و إلتفت إليهما مرحباً بابتسامةٍ تخفي الكثير من الغموض والريبة.

التقط الحاج ذلك الغموض من ابتسامة حسام، و شعر أنه في طريقه لسماع مفاجاةٍ من العيار الثقيل، فآثر أن يتلقى الصدمة بمفرده فالتفت إلى سيد :

–سيبنا لوحدنا يا سيد شوية، عشان أتكلم مع سيادة المقدم.

تذمّر سيد ونظر إلى أبيه باستغراب :

–هو فيه إيه يا حاج؟

ردّ الحاج عبدالله دون أن يلتفت إليه:

-مفيش يا سيد بس أنا عايز سيادة المقدم لوحده.

ابتسم حسام ابتسامةً أخرى وهو يلقي نظرةً خاطفةً إلى سيد، الذي انسحب بعصبيةٍ وهو يهمهم ببعض الكلمات الغير مفهومة؛ وفور خروج سيد من البهو رفع الحاج راحة يده مشيراً للصالون الفخم :

-إتفضل يا سيادة المقدم.

لم تنفك تلك الابتسامة من على شفتي حسام، بل اتسعت أكثر وأكثر كلما تأكد من التوتر الذي يسببه وجوده على الحاج، فهذا يسهّل المهمة التي جاء من أجلها كثيراً.

- إيه يا سيادة المقدم فيه جديد؟

نطقها الحاج محاولاً فتح قناةٍ للحوار بينهما كي يعرف سبب مجيئه ؛ وضع حسام إحدى رجليه فوق الأخرى و أشعل سيجارته في حركاتٍ تبدو ككليشيهات السينما:

-أكيد يا حاج فيه جديد.

نطقها بأسلوبٍ لم يرتح له الحاج عبدالله، فبدا انفعاله واضحاً على صوته في قوله:

-هو أنا حاسس إنك عايز تقول حاجة يا سيادة المقدم، ما تقول على طول وبلاش شغل الساسبنس ده، و قدّر اللي إحنا فيه.

نهض حسام و دار حول الكرسي الجالس عليه الحاج عبدالله وقال بتؤده :

-اللي أنا جاي عشانه يا حاج ممكن يزعلك بس برضه ممكن يكون طوق النجاة ليك ولغيرك، و ممكن يكون الخيط اللي هيودينا للي قتل محمود بيه الله يرحمه.

أمسك الحاج يد حسام مانعاً إياه من دورانه حول الكرسي و نظر إلى عينيه مباشرةً وضغط على حروف كلماته قائلاً:

-قلتلك لو عندك حاجه قولها على طول، إحنا أعصابنا كلنا متدمرة.

شعر حسام أن الرجل وصل لمرحلةٍ قد يفعل فيها ما لايحمد عقباه، ففضل أن يطرق على الحديد و هو ساخن فجلس على كرسيه قائلاً:

-ماشي يا حاج أنا هدخل في الموضوع على طول.

-إتفضل.

-فين البنت اللي دخلت مع أيمن هنا امبارح؟

عندما نطقها حسام لم يكن يتوقع ردّة الفعل تلك التي ظهرت معالمها على وجه الحاج عبدالله، فلقد انتفض الحاج عبدالله انتفاضةً من قوتها أنها ألقت بالكرسي الثقيل للخلف، فوقع ووقع معه الحاج عبدالله .

نهض حسام مسرعاً و أمسك يد الحاج عبدالله، الذي ظهرت على وجهه علامات الخوف، التي و لأول مرةٍ يراها حسام، مما شجّعه أن يقول:

–إيه يا حاج هو الموضوع مشكلة أوي كده؟

ابتلع الحاج عبدالله لعابه وحاول البحث بعينيه على كوبٍ من الماء فناوله له حسام فشربه كله :

–لا يا حسام بيه أنا معرفش إنت بتتكلم على إيه.

ردّ حسام بتعجب:

–إيه متعرفش! أمال ردّ فعلك ده أسميه إيه إن شاء الله!

حاول الحاج أن يتمالك أعصابه و أن يخرج الكلام من فمه مضبوطاً:

–ردّ فعل إيه يا حسام بيه؟ ده أنا تعبان وعندي نوبة بتجيلي كل فترة.

–إنت عايز تفهمني إنها جاتلك بالصدفه دلوقت؟ ماشي يا حاج طيب ممكن تجاوبني على سؤالي؟

حاول الحاج ان يرسم علامات اللامبالاة على وجهه بقوله :

–ما أنا قلت لحضرتك أنا معرفش بنت مين اللي جت مع أيمن، بس أنا كنت سهران مع أيمن ومكانش معاه حد.

–اللي حضرتك ماتعرفهوش يا حاج إن فيه مراقبة على القصر بتاعكو من وقت الجريمة، وكل حاجة بتتم بعرفها، يعني مثلاً إن حضرتك خرجت إمبارح عشان تقابل الدكتورة إيمان دي أنا عارفها، و إن أيمن راح سهر في الهرم وجه معاه بنت، دي أنا برضه عارفها

ومجي مروان لعم مصطفى عشان يخليه يغير أقواله دي برضه عندي معلومة بيها وكمان خروج بنـــ...

- تشرب إيه يا حسام بيه؟

قاطعته صيحة هدى التي بدت عيناها متوسلتين له، فقرّر عدم افشاء سرها، و آثر الصمت حتى تلك النقطة.

- ممكن أي حاجه سخنه يا هدى هانم.

أشار الحاج إليها :

- هاتيهلنا في الأوضة عندي فوق.

ونهض و أشار لحسام:

- ممكن سيادتك تيجي معايا نتكلم فوق أحسن؟

حاول حسام أن يملي بسيطرته على الحاج شروطه و أن يجبره على التكلم في البهو، و لكن فضوله غلبه وجعله يومئ برأسه علامة الإيجاب لعلّ الحاج ينتهز فرصة وجوده معه وحدهما و يفصح له عن بعض الأسرار والألغاز التي لا يجد لها إجابة.

***

ارتسمت الفرحة بكل معالمها على وجه حمدي وهو جالسٌ في البار الملحق بمكتب مروان ويصبّ لنفسه كاساً من الفودكا ويدندن بلحنٍ شهيرٍ لمغنيةٍ من مغنيات البورنو اللبنانيات، حتى أن منظره أدهش

مروان الذي فتح باب المكتب ليجده على هذا الوضع، فاغلق الباب وراءه ولكزه قائلاً:

–إيه ده! ده كلام حاتم صح بقة إنت بايت من إمبارح هنا وعمال تشرب؟

أمسك من يده الكأس الجديد الذي ملأه :

–إرحم نفسك، إنت جايب الفرحة دي منين نفسي أفهم!

–إنت مش متخيل موضوع مصطفى ده ريحني إزاي، كدة بقي أقدر أشوف شغلي مع الظابط ده كويس، إنت متعرفش أنا كنت شايل همّ شهادة الحيوان ده إزاي.

طرقع سبابته بإبهامه قائلاً:

–لكن إنت طلعت إيه واد جامد! وخلّصت بالقاضية.

انتفخت أوداج مروان، و عدّل من وضع ياقة قميصه وقال بتعالي:

–عشان تعرف بس أنا بعمل معاك إيه وبخدمك إزاي، لولايا مكنتش هتخلص أبداً من الحوار ده.

–المشكلة مش في الحوار ده بس يا مروان، المشكلة إنه كان هيفتح علينا أبواب جهنم وهنقلّب في حاجات قديمة.

لم يرُق لمروان فحوى حديث حمدي حول فتح القديم فقال متسائلاً:

-تقصد إيه بإنه هيفتح في القديم؟

-لا متشيلش همّ أهو أنا بفضفض، المهم سيبني أنا بقى أروح أناملي ساعتين يالله سلام.

بدا مترنحاً و هو يغادر المكتب، و ترك مروان و الفضول يشعل أعماقه متسائلاً ماهو القديم الذي يخاف منه حمدي، فربما لو عرفه هو يكون ورقةً رابحةً بين يديه ضد حمدي تجعله طوع يديه، فصمم على أن ينقّب في الماضي عن أي خطأ يكون قد قام به حمدي .

ضغط على ذلك الزر على مكتبه فأتاه حاتم من باب المكتب فأشار بيده لحاتم :

-تعالى أنا عايزك في حاجة ضروري.

ثم مال عليه وكلّفه بمهمةٍ سرّيةٍ لمعرفة كل الماضي عن عائلة السويفي.

العائلة الغامضة

***

حاول سيد ان يتلصص على حوار المقدم حسام و أبيه ولكنه خشي أن يراه أيٌّ منهما، أو أيمن أو هدى او أحد الشغالين، ولذلك فلقد وقف بعيداً، و لكنه اختلس النظر إليهما، و عندما انتفض الحاج من مجلسه تفاجأ من هول الكلمة التي تجعل أباه يصل لتلك الدرجة فاشتعل فضوله أكثر و أكثر، و فكر في أن يقترب منهما كي يسمع ما يدور، و لكن دخول هدى إلى البهو حال دون ذلك، و بعد

صعودهما إلى غرفه الحاج قرر أن يستمع إلى حديثهما و ليكن ما يكون، فربما يكون ما يخاف منه سوف يحدث، و هو لن يسمح بتكرار أفعال الماضي مرةً أخرى؛ و لذلك فلقد صعدا بعدهما بفترةٍ ونظر يميناً ويساراً ثم ألصق أذنه بالباب .

ورويداً رويداً بدا الإندهاش يتسلل إلى ملامحه.

فما سمعه يدعو للاندهاش و....

والخوف..

***

صعد حسام مع الحاج إلى غرفته و أدار بصره فيها بحكم التعوّد وبحسّه المباحثي، فوجدها مرتبةً و منمقة لأقصى درجةٍ توحي بأن قاطنها من الطراز الذي لا يترك شيئاً للصدفة، فكل شيءٍ في مكانه المخصص له، فعلى الحائط معلقٌ مكتبةٌ صغيرةٌ تحمل من الكتب مجموعةً متنوعةً في مجالاتٍ مختلفة، فهناك الكتب ذات العناوين الدينية مثل "سلسلة إحياء علوم الدين" و "رياض الصالحين" و هناك كتب الأدب والروايات والقصص، و هناك كتبٌ طبيةٌ بمصطلحاتٍ أجنبية؛ على الجانب الآخر من الغرفة يوجد جزءٌ مخصّصٌ لبارات الحديد وبعض معدّات كمال الأجسام .

تعجّب حسام من وجود تلك المعدّات في حجرة عجوزٍ في منتصف الستينات، فلم يتمالك نفسه وهو يسال الحاج بفضولٍ لم يستطع منعه :

- هي الحاجة دي بتاعتك يا حاج؟

- آه بتاعتي لأني رجل رياضي من صغري، إيه فيها مشكلة؟

نظر إليه الحاج نظرةً فاحصةً و بدأ الكلام:

- ممكن ندخل في الكلام على طول يا سيادة المقدم؟

- أكيد يا حاج أنا جايلك عشان كده.

- طيب قول اللي عندك.

- و هتجاوبني؟؟ وبصراحة ؟ بـــسلوب ودّي؟

امتعض الحاج عبدالله :

- مفيش حاجة أخبيها عشان متكلمش بصراحة.

- ماشي يا حاج، إيه موضوع البنت دي اللي كانت هنا امبارح؟

نظر الحاج عبدالله مباشرةً إلى عيني حسام :

- واحدة شافها أيمن امبارح وباتت معاه ومشيت الصبح.

- بس هي مخرجتش الصبح زي ما إنت بتقول يا حاج، المراقبة متشالتش من على القصر والناس بتوعي صاحيين ومشافوهاش وهي خارجة.

أشاح الحاج بوجهه :

- أنا شايفها بنفسي الصبح خرجت برّة القصر، و حتى أيمن كان هو اللي وصلها للباب.

–أيمن اللي وصلها؟

أردف الحاج:

–أو يمكن حدّ من الشغالين، مش عارف أصلي شفته من بعيد.

لمعت عينا حسام:

–وهو فين أيمن ممكن أشوفه؟

–أيمن نايم دلوقت يا حسام بيه.

–ماشي يا حاج هنأجل الموضوع ده لحد مايصحى.

أخرج سيجارةً جديدةً من جيبه و أشعلها ونفث دخانها:

–قلي بقي يا حاج، إيه اللي بينك وبين الدكتورة إيمان يخليك تكتبلها شيك بمليون جنيه؟

لم يبد على الحاج الاندهاش وقال بهدوء:

–شغل بينا.

–يا حاج إحنا اتفقنا على الصراحة.

–و أنا مبكدبش.

–طب شغل إزاي وهي بتقول إنها تعرفكو من تلت أربع أيام، والشيك مكتوب من شهر.

–هيه تقول اللي عايزاه أنا اعرفها من فترة، و أيمن وهو مسافر كان بيكتبلي عنها كتير وبيكلمني عنها، و عن طيبتها وشطارتها في الشغل.

–طب و إيه طبيعة الشغل اللي بينكو؟

– كنت هشاركها في مستشفى.

–و إنت ليك في المشاريع دي؟

–آه ليا مش تجارة برضه؟ وهي دكتورة شاطرة فقلت أستثمر معاها فلوسي.

أمسك حسام ورقةً و طواها عدة طيّاتٍ على شكل قرطاس وخبط بسيجارته على حافة القرطاس ليسقط طفية سجائره بداخلها :

–طيب ليه هي بتنكر معرفتها بيك من فترة؟

–يمكن خافت من إنها تربط نفسها بينا عشان ميكونش فيه شبهة عليها إن ليها مصلحة في قتل ابني محمود الله يرحمه.

نظر إليه حسام بتمعن:

–ده توقعك ولا الكلام اللي اتفقتو عليه إمبارح إنها تقولهولي عشان تفسرلي موضوع الشيك؟

بدأت العصبيه تدبّ في نبره صوت الحاج عندما قال بعصبية :

–إحنا متفقناش على حاجة، إحنا كنا بنتكلم في تفاصيل الشغل، و أظن ده مش عيب، و بعدين إنت إزاي تتجسس علينا، بأي حق يا سيادة المقدم؟ أنا هعرف إزاي أأأأ.....

قاطعه حسام بكل هدوء :

–طيب إيه رأيك يا حاج إن أيمن مكانش مسافر برّة مصر لا هو ولا الدكتورة بتاعتك!

كان حسام على علمٍ بما ستفعله هذه المفاجأة بالحاج لذا فكان طبيعياً أن يصمت الحاج عن ثورته و أن يُطرق رأسه أرضاً.

أشفق عليه حسام فقال:

–يا حاج إنت لازم تصارحني بكل حاجه عشان أساعدكم، ده لو عايزين تعرفوا مين قتل محمود، صارحني بكل اللي تعرفه.

نزلت الدموع من عيني الحاج وقال من بين دموعه:

–أنا هحكيلك على كل حاجة.

و انطلق يحكي لحسام كل شيء، ليتأكد حسام أكثر و أكثر أن الدائرة تضيق على حمدي، و أنه لا مفرّ من المواجهة القادمة التي لن تكون في صالح حمدي بكل تاكيد.

***

انطلق حسام بسيارته بسرعةٍ عاليةٍ جداً على الطريق الدائري متوجهاً إلى المعادي، لم يتمالك نفسه بعد أن سمع ما سمعه من الحاج عبدالله، وشعر بلمحة انتصارٍ كون وجهة نظره وحاسّته البوليسية تكاد تثبت صحتها، لم يلق بالاً لكمّ المكالمات التي تنهال عليه من أرقام غريبة، و لكنه سرعان ما أمسك الهاتف حين لمح رقم عبدالرحمن، فوضع التليفون على وضع السبيكر :

–أيوه يا عبدالرحمن.

أتاه صوت عبدالرحمن مفعماً بالفرح:

-خلاص ياباشا أقنعت عم مصطفى يشهد باللي سمعه؛ تخيّل كانوا واعدينه بميت ألف جنيه.

خبط حسام بيده على تابلوه سيارته علامة الانتصار وقال:

-تماااام أوي، و اللي يخليهم يدفعوا ده كله يبقى أكيد ليهم مصلحة أكبر وعارفين إنهم متورطين .

-بس ياباشا لو هم متورطين ليه مروان جه بشكل فاضح كدة وكان معرّض نفسه إن أي حد يشوفه، يعني لو هما بيداروا على حاجة يبقى هيساوموه بس في الخفا.

ظهرت على ملامح حسام التفكير فهزّ رأسه قائلاً:

ـــ يبقى أكيد مروان ميعرفش حجم المشكلة وشايفها مجرد حاجة صغيرة بيتدخل عشان يحلها ويشيّل حمدي جميلة عملهاله يردهاله برضه.

-طيب ماهو حمدي واصل وغني و معروف، يعني ممكن يظبط نفسه بالناس اللي فوق.

ابتسم حسام ابتسامةً صفراء :

-لا ده كان زمان، أيام ماكانت الناس اللي معاها فلوس بتأكل الناس اللي فوق بالسنين، لكن دلوقت يا حبيبي بعد الثورة الناس اللي فوق دول مبيكملوش سنة على كراسيهم، و كله بيكون خايف لايتمسك عليه حاجة و يبقي كبش فدا يشيل ليلة الفساد والمحسوبية

لوحده، و حمدي عارف كدة كويس، وعشان كدة معملش حاجه لحد دلوقت غير اللعب من تحت الحزام.

–طب سيادتك عملت إيه مع الحاج؟

– لا ده موضوع يطول شرحه؛ تعالالي دلوقت في العنوان ده.

أمسك عبدالرحمن ورقةً و دوّن العنوان ثم وضعها على المكتب الذي أمامه :

–طب و احنا هنروح المستشفى دي ليه دي مصحة؟

ضحك حسام :

–متخفش مش هسيبك هناك، لكن هناك هنلاقي الحل بتاع القضية دي، تعالالي هناك، و الا أقولك، خلّيك عندك و أنا هقولك تعمل إيه.

و أغلق التليفون و هو يشعر بنشوة انتصارٍ لم يشعر بها في أدق القضايا و أخطرها، ربما لأنها تحوّلت لقضيةٍ شخصيةٍ بعد أن تحدّاه حمدي وعامله بجفاء، و لكنه نفض ذلك الشعور وترك نفسه يستمتع بما وصل إليه فلقد قاربت القضية على النهاية.

***

طرق سيد الباب على والده في الغرفه ولم ينتظر الإجابه ففتح الباب، فوجد أباه مطرق الرأس يبكي بنهنهةٍ ودموعه تُغرق السجادة فتأثّر و أخذه بين أحضانه:

- فيه إيه يا حاج مالك؟!

لم يستطع الحاج عبدالله الرد عليه، ولكنه أبعده عنه، فاحترم سيد صمته ولكنه عاجله بقوله:

- أنا سمعت كل اللي دار بينك وبين المقدم حسام يا حاج.

رفع الحاج عينيه إليه بغضب وتوقفت دموعه عن الانهمار ونهض بقوةٍ من السرير الذي كان جالسا عليه ولكَم سيد لكمةً قويّةً لا تتناسب مع سنوات عمره وقال بغضب:

- كنت بتتصنت عليا يا حيوان!

مسح سيد خيط الدم الذي سال من شفتيه وقال وهو يرفع يده صدّاً لأي هجومٍ آخر من والده:

- أيوه يا حاج كان لازم أتصنت، ياما قلتلك إنت مكانك مش هنا وهدى مكانها مش هنا، الفلوس عمت محمود وحمدي، قلتلكو تعالوا نرجع بيتنا القديم مكنتش موافقني، ولما عرفت اللي عرفته وقلتلك مكنتش مصدقني و كدبتني وقاطعتني أنا، يابا ده إنت حرّمت عليا أقلك يابا وخلتني أفضل أناديلك و أقلك يا حاج، أنا عارف إن كان نفسك تلمّنا بس الفلوس يابا! الفلوس بتغيّر البشر، و آديك شوفت عملت إيه في محمود و وصلته لفين، و إبنك التاني اللي ممكن يتشنق بسبب موت محمود و....

قاطعه الحاج:

- كفاية! إطلع برّة مش عايز أشوف خلقكو كلكو.

أطرق سيد برأسه قائلاً:

-ماشي يا حاج، أنا همشي وهسيبك، و لو احتجتني إنت عارف هتلاقيني فين، في بيتنا القديم يابا اللي اتربينا فيه واللي علمتنا فيه الفضيلة و الأخلاق مش البيت اللي خلانا ناكل في بعض، والله اعلم إيه اللي ممكن يحصل تاني .

خرج سيد من الغرفه و أغلق الباب، فامسك الحاج فازةً أمامه ورماها بغضب فانكسرت، فهدأ قليلاً ثم اتجه إلى المكتبة، فأمسك الأجندة و أخذ يدوّن كلماتٍ جديدة، كلمات قد تكون في يومٍ من الأيام ذات أهميةٍ لشخصٍ ما.

***

توقف حسام أمام تلك الفيلا التي تحمل لافتة " مستشفى الإيمان للصحة النفسية"

وقف أمام البوابة فخرج البواب من مكانه، أخرج حسام هويته الشرطيّة فارتبك البواب ارتباك الناس البسيطة من الشرطة فطمأنه حسام بابتسامة:

-إزيك يا راجل يا بركة دكتورة إيمان هنا؟

بتوترٍ أجاب :

-آه ياباشا.

-طيب قولها المقدم حسام شوكت.

مرّت ثواني اندفع بعدها البواب في فتح بوابة الفيللا لحسام ورفع يده بالتحية فابتسم حسام :

-والله كويس، لسه فيه ناس بتخاف من الشرطة.

ركن حسام سيارته ودلف إلى الفيلا، المكان لا يدلّ على أنه مستشفى، فكل شيءٍ بالداخل بدا طبيعياً عد بعض الصور على الحائط مرتبةً بانتظام، وتحت كل صورةٍ اسم عالمٍ من علماء علم النفس المشهورين أمثال سيجمون فرويد وجيروم برونر وكارل يونج وايريك ايريكسون وغيرهم، و بين كل تلك الصور توجد شهاداتٌ بالإنجليزية لم يميز من بين كتابتها إلا إسم إيمان أحمد فودة و بعض الشهادات الأخرى لوالدها، لم يميز أيضا إلا اسمه منقوشاً بماء الذهب عليها.

قابلته الدكتورة إيمان متوترةً في ردهه الفيلا وقالت مرحبّة:

-أهلاً وسهلاً بيك يا سياده المقدم.

مد يده ليستقبل يدها الممدودة بين راحتيه وقال بودّ:

-أهلاً بيكي يا دكتورة إيمان، بصي إحنا دلوقت يا دكتور مش خصوم، و آسف على اللي حصل قبل كدة، أنا الحاج حكالي على كل حاجه وجاي أعرف منك أكتر، ولو ينفع تعمليلي ده في تقرير رسمي.

-أنا تحت أمرك يا حسام بيه.

اعتدل حسام في مجلسه وقال:

-ممكن تقوليلي بقى البداية الحقيقيه لمعرفتك بعيلة السويفي؟

مطّت إيمان شفتيها وبللتها ثم اندفعت تروي:

-أنا كنت بدرس لسه في الكلية، وبابا كان لسه فاتح المستشفى دي، وهو كان على علاقة بعيله والدة أيمن، و لما محمود السويفي إتجوز والدة أيمن بالتالي إتعرف بابا على عيلة السويفي، و كان دايماً يحكيلي على الحاج عبدالله كل خير حتى بعد ما ماتت والدة أيمن، فضل بابا مصاحب الحاج عبدالله لأنهم ربطتهم علاقة مشتركة الأيام قوّتها قوي، و بعدين لما أيمن عرف خبر موت والدته جاله انهيار عصبي وقعد فترة كبيرة بابا يعالجه، و أنا كنت خلّصت فكنت بتدرب مع بابا على حالة أيمن، وبعدين بابا مات الله يرحمه فمسكت أنا المستشفى بكل اللي فيها، ومنهم حالة أيمن، و في يوم إتصل بيا الحاج عبدالله وقالي إن أيمن في حالة هياج شديد و عمال يكسّر في الحاجة اللي في البيت و إنه أغمي عليه بعد كدة.

ازدردت إيمان لعابها فناولها حسام كوب الماء فشربت، ثم استطردت:

-أنا روحتلهم وسألتهم فيه إيه مكانوش عايزين يقولولي، و لما ضغطت عليهم أعرف عشان علاجه قالولي شاف خناقة بين باباه وعمّه حمدي بس مقالوليش تفاصيلها، فأنا طلعت قعدت معاه شوية وهو اللي حكالي.

انتبه حسام في تلك اللحظة:

–أيوه حكالك إيه بقى؟

–قالي إنه سمع عمه حمدي بيشكك في سمعة مامته، و بيقول لباباه إنه عارف إن مشيها مكانش كويس، و كان بيسألني ببراءة هو فعلاً مامته مكنتش كويسة؟

–طب وهو ده كان حقيقي فعلاً؟

–أنا معرفش تفاصيل، لكن والدي عمره ماقالي حاجة وحشة عنهم، و أنا كمان عمري ماشفت منها حاجة وحشة، بالعكس تمام دي كانت ست ذوق وشيك أوي وكانت بتحب محمود جداً.

–وبعدين؟

–و بعدين أنا حاولت أعالج أيمن في البيت لكن هو بقت تجيله حالات أو نوبات كدة أول ما يشوف حمدي السويفي، و في بعض الأوقات كان بيحاول يتهجم عليه، عشان كدة الحاج قالي إنه هيتعالج عندي في المصحة بس متقوليش لحد خالص عشان عمه طمّاع وممكن لو عرف ياخد فلوسه بسبب إنه مريض، و ساعتها المحكمه هتحكمله عشان أيمن هيكون فاقد الأهليه سواء بالسن أو حتى بمرضه، و فضل الموضوع سرّ بيننا أنا والحاج ومحمود، وكل الناس كانت عارفة إنه مسافر لبره لحد مايتعالج، لكن هو للأسف كانت حالته بتسوء لأنه كان بيشوف كوابيس وبينطق إسم مامته وباباه كتير، و كمان لأن أبوه مكانش بيزوره عشان كان حاسس إنه سبب من ضمن أسباب وجوده في المستشفى .

نهضت من مكانها وتلفتت حولها وقالت بتوتر:

-لكن حمدي كان حاسس إن فيه حاجة مش طبيعية و كان كل شويه يسال الحاج على أيمن، وهو فين وعايز يشوفه، و الحاج قالي اوعي تظهري قدام حمدي دلوقت خالص، و فضلت بعيد والحاج مكانش بيبخل عليه باي حاجة، وكان بيدفع مصاريف علاج أيمن الدوبل عشان هو بيحبه جداً، لحد ما أيمن ربنا كرمه وشفاه فعملنا تمثلية الرجوع من السفر دي، وبعدين حصل اللي حصل.

-طب وموضوع الشيك؟

-ده الحاج كتبهولي قبل أيمن مايخرج زي مكافأة، و عشان أحفظ السرّ عشان عمه ميسمعش بيه أبداً فيحجر عليه.

لسعت السيجارة حسام في يده بعد أن وصلت إلى الفلتر فانتفض انتفاضةً خفيفةً وقال:

-أي....، طيب وهو تصنيف اللي عن أيمن ده إيه؟ يعني المرض نفسه إسمه إيه؟

-بص، هو خليط من صدمة نفسية أو بنسميها إحنا "ترواما" Trauma، و دي بتنتج لما يتعرض لضغط نفسي سواءاً من حوادث أو شهود حالات حرب، أو فقدان إنسان عزيز، ودي بينتج عنها خلل في الشعور بمضي الصدمة وتفضل تطاردك في أحلامك وكوابيسك، و كل ماتشفى منها ترجعلك تاني كل ماتشوف حاجة

ليها صلة بسببها الأساسي، كمان بتسبب إكتئاب وبتدخلك في دوامة أمراض نفسية تانية ليها علاقة بالصدمة .

هزّ حسام راسه محاولا استيعاب ماتقوله الدكتورة إيمان فأكملت:

-الموضوع زاد بقى لما سمع الخناقة اللي بين أبوه وعمه وجاله حاجه بنسميها في الطب النفسي **Somatoform disorder**

او مرض الهجاس، فبقى بيشك دايماً في كل حاجة حواليه، و في نفسه وفي إنه دايما عيان، وده كان بيخليه يمرض بجد والأمراض دي بتاخد وقت في علاجها، وعشان كدة هو طول معانا.

-طيب تفتكري إن الأمراض دي ممكن ترجعله تاني؟

-بأسلوب علمي لا معتقدش .

نهض حسام من مكانه ومدّ يده يسلم على الدكتورة إيمان بحرارةٍ قائلاً:

-أنا متشكّر جداً يا دكتورة إيمان على المعلومات دي، و أتمنى تشرفيني في المكتب عشان المحضر الرسمي.

-أكيد يا حسام بيه أنا تحت أمر سعادتك.

خرج حسام مسرعاً من المستشفى و أخرج تليفونه المحمول وطلب رقم عبدالرحمن، و ما أن سمع صوته حتى طلب منه أن يقوم بالقبض على حمدي ويجلبه إلى مكتبه في القسم .

دوت أبواق سيارات الشرطة أمام فيلا حمدي السويفي، و نزل من واحدةٍ منهم النقيب عبدالرحمن وطرق باب الفيلا ففتح له أحد الخدم مفزوعاً فعاجله عبدالرحمن بقوله :

- فين حمدي بيه؟

رد عليه الخادم بخوف :

- نايم سعادتك.

لكزه عبدالرحمن بعنف :

- إطلع صحيه بسرعة.

صعد الخادم إلى غرفه حمدي وخبط على باب الغرفه فلم يتلقى جواباً من الداخل، فدخل وهزّ حمدي من على سريره فأفاق حمدي بعد بضعة هزاتٍ غاضباً و قال:

- يا حيوان مش أنا قلت محدش يصحيني !

ابتعد الخادم عن طريقه وقال بخوف:

- ياباشا فيه بوليس تحت وعايزين سعادتك بسرعة.

- بوليس؟ و إيه اللي جابهم هنا؟

نهض حمدي من مكانه وارتدى الروب الأبيض و توجه ناحيه السلم ونزل درجاته مسرعاً، وقال لعبدالرحمن بغضب:

- فيه إيه يا سيادة النقيب، إيه الموضوع الضروري اللي يخليكو تقتحموا بيتي كده؟

رد عبدالرحمن باستهزاء:

-حضرتك مقبوض عليك يا حمدي بيه، وحسام باشا مستنيك في مكتبه.

-طيب ممكن أغير هدومي؟

أشار عبدالرحمن لأحد العساكر بمرافقته وقال:

-أكيد طبعاً إحنا مستنينك.

صعد حمدي السلم وهو يضرب أخماسا في أسداس ويتكهّن بما وصلت اليه الأمور ولماذا سيتم القبض عليه، هل اكتشف أحدٌ ماحدث بالماضي؟ أم اعترف مصطفى السواق عليه، أم ماذا؟

ظلّ يفكر فيما حدث، ولكن تفكيره لم يطل، حيث أنه أنهى تغيير ملابسه، فاقتاده العسكري إلى سيارة الشرطة وسط ذهول كل الخدم.

***

اندفعت هدى تبكي فور إغلاقها التليفون وصعدت السلم مسرعةً إلى غرفه والدها، وفور أن فتحتها ارتمت في حضن والدها قائلةً:

-إلحق يا حاج قبضوا على حمدي و وجهوله التهمة رسمي.

ربّت الحاج عبدالله على كتفها :

-ربنا سبحانه وتعالى يخفّف عنه، و متخافيش أنا مش هسيبه هقومله أكبر محامي.

استمرت في البكاء بقوةٍ و انهارت على أقرب كرسيٍّ قابلها وقالت:

-إحنا ليه بيحصلنا كدة ياحاج، إيه اللي حصل؟ ما كنا عايشين كويسين.

اغرورقت عينا الحاج بالدموع:

-قدر ربنا، اللهم لا اعتراض.

دخل أيمن عليهم الغرفة فوجدهم في حالة يرثي لها، فتعجّب من الموقف :

-فيه إيه يا جدي ؟ فيه إيه يا عمتي؟

أخذه الحاج في حضنه بقوةٍ جعلت أيمن ينهار في البكاء بدون سبب .

حاولت هدى أن توقف سيل الدموع المنهمر منها ولكنها لم تستطع فاندفعت خارج الغرفة، وعندما سمع الحاج صوت خطواتها تبتعد أسرع يغلق الباب و أمسك رقبه أيمن و وضع عينيه في عيني أيمن قائلا بصوتٍ مبحوح:

-أيمن أنا بحبك إنت عارف كده؟

رد أيمن و احمرار عينيه يطغى على بياضها:

-طبعاً يا جدي عارف، و أنا بحبك، إنت اكتر حد وقف معايا في كل حاجه في حياتي أكتر من بابا وماما الله يرحمهم.

-يبقى في يوم من الأيام لما أموت أبقى اترحم عليا و متفكرنيش وحش، أنا أي حاجه عملتها غلط عملتها عشان بحبك وعشان كنت فاكرها ساعتها صح، سامحني يا ايمن.

-طيب فهمني إيه اللي حصل يا جدي؟

-عمك حمدي قبضوا عليه وبقي رسمي هو المتهم.

لم يستطع أيمن تحديد مشاعره، هل هو سعيدٌ لأنهم أمسكوا قاتل والده، أم حزينٌ على عمه الذي سيسجن أو يُعدم، ولكنه قال للخروج من الموقف:

-طب و إثباهم إيه على كدة؟

-أنا اللي بكلامي وصلتهم لكدة، إهم يقبضوا عليه.

-إنت ؟ ليه يا جدي؟

-عشاااا.........

قطع كلمته ونظر إلى أيمن ثم استطرد:

-عشان ربنا عايز كده.

ورمى رأسه على صدر حفيده و اهار مرةً أخرى بالبكاء.

***

لم يستطع حسام شوكت أن يخفي نظرة التشفّي من عينيه وهو ينظر إلى حمدي مهلهل الملابس، زائغ النظرات، محمرّ العينين من أثر عدم النوم والذي قال:

-خير يا حسام بيه إيه الموضوع المرة دي بالظبط؟

-كل خير يا حمدي بيه، كل الموضوع أنك متهم بقتل أخوك محمود عبدالله السويفي .

-هنعيده تاني يا حسام بيه؟ كل ده من كلام مصطفى السواق، ده راجل كبير وممكن يكون بيتخيل حاجات و...

قاطعه حسام وهو يلوّح أمام وجهه بفتاحة الخطابات :

- لا يا راجل سيبك من شهادة مصطفى اللي إنت ومروان حاولتوا ترشوه.

ارتجف حمدي وظهر ذلك على رجليه المكتنزتين باللحم واللتان اهتزتا من الخوف:

-إحم...إحنا مين اللي نرشيه؟

نهض حسام وقال بحسم :

-بص يا حمدي بقى، عشان منضيعش وقت، إنت قتلت أخوك لما عرفت إنه هيكتب ثروته لإبنه اللي إنت بتكرهه أساساً، وكنت بتحاول من زمان إنك توقع بين الواد و أبوه عشان يكرهه ويحرمه من الميراث، فقلت تشكك في نسبه وحاولت تقنع محمود إن الواد مش ابنه بإنك تحكي قصص وتخترع حاجات عن مراته، و إنك شفتها بنفسك بس مكنتش عايز تقول علشان متشعللش الدنيا، والكلام الفاضي ده، وطبعاً الست مكانتش عايشة عشان تدافع عن نفسها وعلى الإفترا اللي إنت افتريته عليها، و لما لقيت مفيش فايدة جالك

موضوع سفر الواد على الطبطاب وشجّعت أخوك، يمكن تعرف تستغل محمود وتحاول تزرع الشك بينه وبين ابنه من تاني.

بدت علامات الفزع ترتسم على وجه حمدي وكانت أكبر دليلٍ على صدق مايقوله وهو ما شجعه على أن يستطرد:

-و طبعا كنت إنت السبب اللي خلى محمود ميزورش إبنه إلا مرتين في العشر سنين دول بالكره اللي عمال تملاه من ناحيته لإبنه، وهو للأسف كان بيثق فيك وبيسمع كلامك، لكن لما رجع أيمن وعرفت إنه هيصفي شركاته مع مروان علشان يحول كل أصوله لفلوس سايلة ويديها لابنه حاولت تقنعه بلعبة تانية من ألاعيبك ترجّعه عن قراره، لكن هو مرضيش وده اللي خلاك تستني لما الكل ينام، و نزلت تتناقش معاه لآخر مرة، و إنت مرتب لو المناقشة مجابتش نتيجة هتعمل إيه، وطبعاً المناقشة مجابتش نتيجه فانت قتلته.

بدا انهيار حمدي دليلاً دامغاً فتابع حسام بصوت جهوري:

ـــ فين السكينة اللي قتلته بيها يا حمدي؟ وفيه حد مشترك معاك في الجريمة؟

ارتفع صوت حمدي بالبكاء الهستيري ونهض وجسده كله يهتز وبدا وكأنه أصابه انهيارٌ عصبيٌّ في قوله:

-مقتلتوش..مقتلتوش ...أنا غلطت بس مقتلتوش.

مصمص حسام شفتيه وقال:

-يا حمدي مفيش داعي للعند، شهادة الشهود كلها ضدك.

- مقتلتوش.

أشار حسام إلى العسكري الواقف معه :

- خده على الحجز.

انصاع حمدي ليدي العكسري وخرج به على الحجز تمهيداً لعرضه على النيابة بعد كتابة شهادة الشهود في محضرٍ رسمي.

زفر حسام الصعداء وشعر أنه أغلق قضيةً كانت تهمه شخصياً لا يدري لماذا .

دخل عليه عبدالرحمن و أغلق الباب وقطع تفكيره قائلاً:

- إيه باشا الحمد لله القضيه اتقفلت كدة ؟ أسحب المراقبة من الشارع؟

التقط حسام علبة علكةٍ من على المكتب و أخذ واحدةً يلوكها بأسنانه وقال :

- آه اسحبهم خلاص، إحنا كدة هنقفل محاضرنا ونوديها بقى للنيابة تكمل شغلها.

ضحك عبدالرحمن وقال بتشفّي :

- ويبقي حمدي بيه بقي يخلي فلوسه تنفعه يجيب بيها محامي يدا...

سكت عندما وجد حسام يعتدل في مجلسه وعيناه تلمع لمعة تفكير فقال:

- فيه إيه ياباشا؟

- إحنا نسينا حاجة مهمة أوي.

قال عبدالرحمن بتساؤل:

- إيه ياباشا؟

- هي إيمان راحت ليه للمحامي فريد منصور؟

هزّ عبدالرحمن رأسه في حيرة:

- يمكن عشان أي موضوع يخصها هي في شغلها أو في حياتها، مش لازم يعني يكون خاص بقضيتنا.

خبط بالقلم الذي بيده على راس عبدالرحمن قائلاً:

- ماهو لو فيه هنا مخ كنت هتعرف إن قضيه إيه اللي تخليها تنزل في نص الليل للمحامي وتسيبله ملف، وبعدين تروح تقابل الحاج عبدالله في وقت متأخر؟ يبقى لو فيه إحساس هتعرف إن لازم يكون فيه رابط بين الاتنين، مش بعيد يكون المحامي هو اللي اقترح عليها تكلّم الحاج في التوقيت ده بالذات لحاجة هما اتفقوا عليها .

ثم نهض والتقط طبنجته الميري وقال:

- قوم معايا.

- على فين ياباشا؟

- هنعمل زياره لفريد منصور

***

توجّهت إيمان في خلسةٍ إلى قصر السويفي وبدت مضطربةً طوال الطريق، و لم تشعر بالسرعة العالية التي تسير بها متجاهلةً كل قواعد المرور والرادار، فقد كان كل ما يشغل بالها هو أن يوفي الحاج عبدالله، لم تستطع تقدير كم من الوقت استغرقت في طريقها، و لكنها أفاقت عندما وصلت إلى القصر فوجدت سيارةً تخرج منها، لم تحدد من بالضبط من يقودها فلم تهتم و أطلقت بوق سيارتها حتى يبقي البواب البوابة مفتوحة، وسألت البواب عن الحاج فأجابها أنه بالداخل فدخلت إلى القصر مسرعةً فوجدت الحاج في بهو القصر واضعاً يده على خده فاسرعت تقول :

–إزيك يا حاج، أنا عملت المطلوب مني وقلت لحسام اللي إنت قلتهولي، أظن جه الجزء بتاعك إنت بقي في اتفاقنا.

نظر اليها الحاج باشمئزاز قائلاً:

–إنتي أقذر بني آدمه شفتها في حياتي، يعني كل اللي إحنا فيه ده و إنتي كل اللي هامك الفلوس وبس؟

انفعلت وعلا صوتها مما جذب أيمن من غرفته وجعلته يقف على أول السلم يسمع مايدور وهي تقول:

–و إنتو اوطي عيله شفتها في حياتي! إنت طلبت مني حاجة و أنا عملتها، الإتفاق اللي بينا إني آخد حقي، و إنت وعدتني، و متخافش أنا هاخد حقي وهسيبلك البلد كلها باللي فيها.

نهض الحاج غاضباً من مكانه وقال بهياج:

–إنتي سبب كل حاجة حصلت، كان ممكن ده ميحصلش لو قلتي الحقيقة.

حاولت الابتعاد عن طريقه بسرعةٍ قائلة:

–أنا صارحتك و إنت اللي اخترت إنت ومحمود وقلتوا تخاطروا، وبعدين السبب مش أنا السبب هو حمدي، هو اللي صحى القديم.

تغيّرت ملامح أيمن ولم يبدُ عليه أنه مهتمٌ بسماع باقي الحوار، فدخل غرفته و أمسك كمنجته ونزل على السلم بهدوء، لم يشعر به أيٌّ من الحاج وإيمان، و بدأ يعزف مقطوعته المحببة غير عابئ بما يحدث من حوله، إلى أن انتهى من العزف فصعد إلى غرفته ورمى جسده على السرير، وبدا أنه غطّ في نومٍ عميق.

***

اندفع حسام إلى مكتب فريد منصور بقوةٍ أدهشت الحاضرين واندفعت السكرتيرة تقول:

–إنت يا أستاذ، حضرتك مين وعايز إيه؟ وحاجز ميعاد و الا لأ؟

لم يُعرها حسام اهتماماً، و ترك المهمة لعبدالرحمن الذي توجّه للسكرتيرة يبرز لها هويته، بينما خبط حسام برجله باب المكتب فوجد فريد يهمّ بالنهوض ليعرف مايحدث بالخارج، و لكن حسام سبقه ولم يمهله القيام ليرى مايحدث فأغلق الباب وراءه وجلس على الكرسي المقابل للمكتب وقال بحدّة:

-بص يا أستاذ فريد، أنا حسام شوكت، بحقق في جريمة قتل، والموضوع حساس والدكتورة إيمان أكيد حضرتك تعرفها.

همّ فريد بالرد بالإيجاب ولكنه لم يمهله فتابع:

-الدكتورة إيمان طرف في الجريمة دي، وهي مختفية ومش بترد على تليفونها عشان أحقق معاها، لكن إنت كمان بقيت طرف في الجريمة وممكن أستدعيك و إنت عارف القانون، فهو سؤال بسيط، كانت عندك بتعمل إيه في مكتبك؟

رد فريد بدهشة:

-إنت مش محتاج لكل المقدمة دي، أنا كنت هاجي لحضرتك بكرة زي ما اتفقت أنا وهي.

-إتفقتوا على إيه وتجيلي ليه؟

اعتدل فريد في مكانه و أخذ يروي ماعنده..

***

أفاق أيمن ليجد نفسه على سريره والغطاء عليه، نظر في ساعته فوجد نفسه لم ينم إلا نصف الساعة فقط وليس أكثر، نهض من سريره فلم يشعر بيديه وكانهما مشلولتين، تمادى على نفسه إلى أن نهض، حاول تحريك يديه باللين إلى أن لانت معه؛ وقف أمام الشباك يراقب الشارع الصامت الذي لا ترتاده سيارةٌ إلا كل نصف ساعة .

فجأةً سيطر على تفكيره كلام الدكتورة إيمان مع جده، و ماذا كانت تقصد بكلامها، لم يعرف كيف لم ينتبه لباقي كلامهم، نظر إلى

مكان سيارتها فلم يجدها فعرف أنها غادرت توجه ببصره إلى الناحية الغربية من القصر فلمح طرف حذاء رجلٍ مثني الظهر لأن رأسه تظهر أيضاً، لا يظهر منه غير طرف حذائه وطرف رأسه، مما يوحي بأنه واقفٌ برجله على وضع رقم ٨ ويلتقط شيئا من الأرض، دقّق النظر فاتضح له أن الرجل لا يلتقط شيئاً من الأرض ولكنه يحفر غالباً.

دقّق النظر أكثر فبدأ القلق يدبّ في أوصاله حينما خرج الرجل من طرف القصر، فبان جسده وعرف شخصيته، ولكن ما رآه بعد ذلك هو ما جعله يرتعب، فلقد رأى ذلك الرجل يسحب جسداً من جانب جدار القصر، حاول أن يمدّ عنقه ليرى من صاحب الجسدي المسجيِ على الأرض، نعم إنها هي الدكتورة إيمان، و يبدوا أن عنقها ملوثٌ بالدماء، لم يستطع أن يمنع نفسه من إلقاء صرخةٍ مكتومة، بدا أن الرجل شعر بها فألقى بصره إلى أعلى، و لكن أيمن استبقه وادخل عنقه فلم يرى الرجل شيئاً فأكمل الرجل دفن ضحيته، و أيمن دخل إلى غرفته مذهولاً مصدوماً فلم يكن يتوقع ما رأى .

***

خرج حسام من مكتب فريد مسرعاً ولم يبالي بنظرات جميع الحاضرين إليه من أسلوبه الغير حضاري، حتى أنه لم يشعر بعبدالرحمن وهو يلحق به قائلاً:

–حسام باشا، استني حسام باشا!

لم يلتفت إليه إلى أن وصل لسيارته فأدارها ولحق به عبدالرحمن في آخر ثانية فأمسك بالباب وتحركت السيارة ونصف جسده بالخارج، وبحركة ليونةٍ أصبح داخلها دون أن يصيبه مكروه.

–ياباشا فيه إيه بس متعرفني!

قالها عبدالرحمن بعصبية، نظر إليه حسام و ألقى إليه الملف وقال:

–شوف ده و إنت تفهم كل حاجة.

أمسك عبدالرحمن الملف فوجد به كلاماً كثيراً باللغة الإنجليزية فلم يهتم أن يترجم كلمة كلمة، فحاول أن يبحث عن ورقةٍ واحدةٍ باللغة العربية إلى أن وجدها، و لكن ما أن وقعت عيناه على السطور الأولى و بدأ يقرأ حتى هاله ما رأى وعذر رئيسه على ردّة فعله، فلم ينبس ببنت شفةٍ طوال الطريق وهو يعرف إلى أين يتجه حسام دون أن يقول، فهو متجهٌ إلى المكان الذي بدأت به الاحداث.

قصر السويفي.

***

..هل تلك خيالاتٌ أم أنها حقيقة؟ لم يدري أيمن بما يفسر ما رآه، و إن كانت حقيقة...فكيف ذلك؟ كيف يقتل ذلك الرجل الدكتورة إيمان، ولماذا؟ وهل هو من قتل أباه؟ كيف ... كيف يحدث هذا؟!

أسرع إلى الباب و أغلقه بالمفتاح خوفاً، و لكنه سرعان ماتذكر أن الباب لن يحول بينه وبين ذلك الرجل، فأسرع بفتح الباب وما أن فتحه حتى وجده أمامه.

بدا في تلك الحظة لأيمن أنه شريرٌ يريد الانقضاض عليه وقتله هو الآخر، فلقد بدا أنه علم أن أيمن رآه، فلقد كانت هناك نظرةٌ على وجهه فسّرها أيمن أنها نظرة انتقام.

رجع أيمن بجسده إلى الوراء فقد كانت المواجهه ليست في صالحه، فآثر أن يحتمي بأي شيءٍ ولكنه لم يجد شيئاً يدافع به عن نفسه، فانكمش في الحائط المقابلِ للباب ووقف الرجل ينظر إلى عينيه، فجلس أيمن على الأرض ودفن وجهه بين رجليه في خوف و توقفت عجله الوقت، وظلّت تلك اللحظة و كأنها شاشة عرضٍ ضغطت زر **pause** عليها ليتوقف المشهد، إلى أن كسره الرجل وهو يتجه ناحيه أيمن ويميل عليه، إلا أن أيمن انتفض من مكانه قائلاً بتوسل:

-جدي أنا بحبك ليه عايز تقتلني؟

خلع الحاج عبدالله القبعة التي يرتديها وفتح ذراعيه وقال بحنانٍ بدا لأيمن مصطنعاً :

-أنا يا أيمن اقتلك! لا يا حبيبي إهدى وانا هفهمك.

وقعت يد أيمن على عصا بيسبول ديكور كانت مع ألعابه فانهال بها على الحاج عبدالله وهو يقاوم، و لكنه لم يكف إلا عندما وقع الحاج عبدالله أرضاً فأسرع يلتقط تليفونه المحمول ويجري خارج الغرفة و أغلق الباب وراءه و أمسك المقبض بكلتا يديه وقال:

-مكنتش أعرف ولا متخيل إن إنت يا جدي، طب ليه يا جدي ليه قتلت بابا! تقتل إبنك ليه؟ أنا هكلم المقدم حسام .

أمسك تليفونه وبحث عن رقم حسام، وجده يقول في نفس الوقت:

- بلاش يا أيمن، أنا مقتلتش أبوك، بلاش تعمل حاجة تندم عليها ، أنا كنت بحميك يا ابني.

- تحميني تقوم تقتل أبويا!

جاء صوته واهناً :

- أنا ماقتلتوش.

- أمال مين اللي قتله؟

مضت فترة صمتٍ إلى أن قال :

- إنت .. إنت يا أيمن اللي قتلته، و إنت اللي قتلت إيمان، و كمان البنت اللي كانت جايبها معاك، إنت يا أيمن.

وقعت الصدمة على أيمن كالصاعقة، ومرّت أمامه ذكرياتٌ متناثرةٌ غير مربوطةٍ ببعضها، فتح الباب فوجد جده جالساً على الأرض يمسك مؤخرة رأسه ويقول:

- إنت كنت بتتعالج في المستشفى عشان كنت خطر علينا، لما والدتك ماتت إنت اتصدمت وجالك انهيار عصبي، وحاولنا نخرّجك من اللي إنت فيه وكنا فعلاً قربنا نخليك تنسة الصدمة لحد ما سمعت كلام بين أبوك وعمك حمدي، فاكر ده يا أيمن؟

أمسك أيمن برأسه ليمنع تلك الذكريات من الولوج إلى عقله، فلقد رأى ذكرياتٍ عندما كان طفلاً، و كان يلعب بجانب حجرة مكتب والده عندما سمع صوتهما العالي، كان حمدي يقول:

-يعني إيه مش ده اللي اتفقنا عليه؟

رد محمود عليه بعصبية:

-يعني إنت ملكش عندي حاجة إنت خلتني أوافقك على قتل البنت الوحيدة اللي حبيتها، واللي وقفت جنبي، واللي كل الخير ده منها ومن أهلها، إنت اللي شككتني فيها وفي سلوكها وخلتني أوافقك إنك تسيب فرامل عربيتها وتموتها.

-أنا قلتلك اللي كنت بشوفه و إنت وافقت، وبعدين مين قالك إنها كانت شريفة؟ طيب ماهو فعلاً كانت تعرف غيرك و إنت شفت بنفسك.

أمسك محمود بتلابيبه وقال:

-إنت اللي خلتني أشوف ده! إنت اللي عمتني، ربنا ينتقم منك خلتني أشوف كلامها المحترم مع الناس خيانة! منك لله حرمتني من مراتي وحرمت ابن من أمه.

-إنت وافقت وكان اتفاقنا واضح، و أنا عايز فلوسي، زي ماوعدتني إني أخلّصك من المصيبة دي وخلصتك يبقى آخد أتعابي بقى زي إتفاقنا و إلا عليا وعلى أعدائي و...

شعر الحاج أنه يتذكر فأكمل:

-ساعتها إنت أغمي عليك، وبعد كذا يوم في السرير بدأت تظهر عليك هلاوس وتهيؤات وبدأت تبقى عنيف مع كل اللي

حواليك لدرجة إنك دبحت الكلب بتاعك بالسكينة عشان صوته كان عالي شوية، فساعتها كان لازم ندخلك مصحة عشان يعرفوا يتحكموا فيك، ومحدش كان يعرف إلا أنا و أبوك، و الوحيدة اللي كانت عارفه السر ده هي الدكتورة إيمان وخدت تمن سكوتها.

جزءٌ داخليٌّ من أيمن كان يصدق رواية جده، ولكن عقله الواعي كان يرفض فقال بثورة:

-إنت بتكدب، أنا استحالة أعمل كدة، إنت اللي قتلته، أنا ساعة مابابا مات كنت في أوضتي وكنت بلعب كمنجة و....

قاطعه الحاج عبدالله :

-يا أيمن إنت مبتعرفش تلعب على الكمنجة! دي مشكلة من و إنت صغير إنت كان نفسك تتعلم كمنجة و ماما جبتهالك وباباك رفض.

قطّب أيمن جبينه وذهب إلى دولابه ليرى الكمنجة ويثبت لجده أنه كاذب حين يريه كيف يجيد العزف عليها، ولكن هاله ما رأى، فلقد وجد الكمنجة التي يظن أنه كان يلعب بها منذ ساعةٍ واحدةٍ مغطاةً بالتراب و كانها لم تُستخدم منذ زمنٍ بعيد، فلم يستطع الوقوف على قدميه فجلس على السرير، وترك لذكرياته العنان .

..تذكر حين خرج من المستشفى وسمع عمه حمدي و أباه يتكلمان على موت والدته مرةً أخرى، تذكر حينها كمّ الغضب

الذي اجتاحه حينها وكيف أن هذين الرجلين يستحقان القتل، فقتل واحداً وكان ينوي قتل الآخر لولا أن الظروف لم تواتيه.

تذكّر حين قتل ميّار لأنه حكى لها عن سرّه، و كيف قتل إيمان لأنها كانت تهدد جده بفضحهم.

تذكّر كيف كان كل مرةٍ يجد جدّه هو من يقوم بالمدارة وراءه خوفاً عليه.

ولكن هذا الرجل الذي أمامه الان ليس جده، ولكن التصنيف الأشمل أنه رجلٌ علم سره ويجب أن يموت.

***

قطع عبدالرحمن حبل الصمت المخيم على السيارة وقال:

–يعني حمدي السويفي كدة مظلوم؟

–أجابه حسام وهو يضغط دواسة البنزين أكثر وأكثر:

–شكله كدة بريء من قتل محمود، لكن مش بريء من حاجات تانية لسه هنشوف.

فتح عبد الرحمن الملف مرةً أخرى قائلاً:

–طيب و إنت متوقع إن أيمن اللي يكون قتل أبوه ليه؟

–علشان أيمن مريض شيزوفرانيا، ده اللي مكتوب في التقارير اللي عندك.

فتح أيمن مرّةً أخرى الملف ووقعت عيناه على ورقةٍ بخط إيمان مكتوبٌ فيها:

" أيمن مريض بمرض **Schizophrenia**

وهو مرضٌ يفقد المريض القدرة على التفكير بشكل واضح ومنطقي، ويؤدي باقتناعه بأفكار ومعتقدات غريبة هو الوحيد المؤمن بها، كما يصاب المريض بتلبد المشاعر وضعف الإدراك، ويقوم المريض بالفصام بسلوكياتٍ غريبةٍ لا مبرر لها، كما أن المريض ينتابه في بعض الأحيان ازدواجٌ في الشخصية كل واحدةٍ ضد للأخرى فغالباً إحداهما شريرة والأخرى طيبة....."

انتقل عبدالرحمن بعينه إلى فقرةٍ أخرى

" ..... أيمن لم يرد اخذ الدواء بانتظام، يصعب عليه نسيان أن والده قتل والدته ويظل يردد: هقتله.. هقتله....."

".....تم صرف دواءٍ جديدٍ لأيمن كلوربرومازين وبيموزيد وثيوريازين..ولكن بعد الاستمرار لخمس أشهر لم تعطي النتيجة المرجوة..."

" .... تم استيراد أدويه لأيمن **Rispedral** و **Solian** و **zyprexa** وبدأ في التحسن تدريجياً...."

قطع انهماك عبد الرحمن في مطالعة الورق صوت فرملة السيارة وميله للأمام فنظر أمامه فوجد أنهم وصلوا إلى قصر السويفي التي وجد بوابتها شبه مفتوحة فنزل عبدالرحمن سريعاً ليفتحها على

مصراعيها ويدخلا إلى حديقه القصر بجلبةٍ جذبت أيمن الذي كان يهم بالهجوم على الحاج عبدالله، الذي كان يراه حينئذ شخصاً علم بسره ويجب القضاء عليه، ولكنه حينما رأى حسام هتف:

- حسام!!!!!!

فهم الحاج أن حسام وصل إلى القصر فقال:

- أهرب إنت أو استخبي في أي مكان، أنا هعترف على نفسي يا أيمن! أنا عملت ده كله عشان أحميك اهرب يا أيمن.

لم يستطع أيمن أن يفهم نفسه، فمشاعره متضاربة، لايعلم ماذا يفعل، هل يهرب ويترك جده يُعدم بدلاً منه، أم يعترف بأخطائه وبما فعله؟ مرّت حياته كلها أمامه في شريط سينما سريع، مشاعر متضاربة و مشاهد دماءٍ تكسو عينيه، وصوت جده المتداخل مع ذكرياته ويده التي يلوّح بها يريده أن يهرب، مرّت أمامه صورة والده وهو يترجاه أن يهدأ ليُفهمه ماذا حدث، تذكر كيف ذبحه وكان يتصور أن بيديه قوس" فرسة" كامنجته، و أن رقبة أبيه هي جسم الكمنجة، تذكر لحظه قتله لميار و لإيمان، سرح بخياله في كل ما اقترفت يداه، يعلم أنه مريض، ويثق بذلك ولكن لن يقوى على العيش بتلك الذكريات الأليمة ولن يسامح نفسه، أمسك سكينه المخبأ بين طيات ثيابه، طعن نفسه طعنةً كطعنات الساموراي، حاول الحاج أن يلحقه ولكنه سارع بطعن نفسه مرةً أخرى و خرّ واقعاً على الأرض غارقاً في دمائه..

صرخ الحاج عبدالله بأعلى صوتٍ يملكه:

– أااااااااييييممممممنن!

تحامل على نفسه وزحف إلى أيمن في نفس لحظة دخول حسام وعبدالرحمن مشهرين أسلحتهم، أخذه بين أحضانه وظلّ يصرخ باسمه للمرة الأخيرة.

***

أمسك حسام بأجندةٍ بين يديه و انهمك في قراءة ما بها:

"... أكتب لكي تقرؤا من بعدي .. إن كان ذلك الورق معك الآن فهو إما أنك من قصدتُ أن يقرأ ما أكتبه أو أنك من رجال الشرطة أو النيابة ... أعلم أن كتاباتي صادمة ولكنها الحقيقة .. و لا شيء هنا غير الحقيقة .. لست بقاتل ... إعلم ذلك جيداً .. وليس بيننا قاتل .. ولكن حين تختلط الأوراق... و يدخل المال بين النفوس، فإعلم أنك تصنعه .. تصنع القاتل... في عائلة .... السويفي"

أغلق حسام الأجندة التي دوّن بها الحاج كل التفاصيل ليتنهد تنهيدةً حارّة..

تنهيدة انتهاء القضية وغلقها...

النهاية الحقيقة..

النهاية